

مقالة بحثية

الأوضاع الاقتصادية للمغرب الإسلامي وثرواته الطبيعية في الروض المعطار للحميري (ت).
1495/هـ-900م) – دراسة تاريخيةعامر أحمد القبيج* 

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والثروة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

* الباحث الممثل: عامر أحمد القبيج؛ البريد الإلكتروني: Amer.qobbaj@najah.edu؛ جوال: +972599732849

استلم في: 30 أغسطس 2024 / قبل في: 11 سبتمبر 2024 / نشر في: 30 سبتمبر 2024

المُلخَص

تتناول هذه الدراسة الثروات الطبيعية والأوضاع الاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب الروض المعطار للحميري (ت). 1495/هـ-900م)، الذي يُظهر توفر مصادر المياه اللازمة للزراعة وخصب أراضيها الساحلية والداخلية وتعدد مزارعها، وأهمها القمح والشعير والبقوليات، والربون والنخيل والتفاح والعنب والسفرجل واللوزيات. واشتهرت بلاد المغرب بغناها بالثروة الحيوانية، والنحل بهدف إنتاج العسل، والثروة السمكية والمرجان، فضلاً عن المعادن الطبيعية، كالذهب والنحاس والحديد والملح. وانتشرت الصناعات النسيجية القطنية والكتانية والصوفية والحربية في معظم مدن بلاد المغرب. ونظراً لغناها بالثروة الحيوانية فقد ازدهرت فيها الصناعات الجلدية. أما في الموانئ الواقعة على سواحلها فقد أقيمت عديداً من دور إنشاء السفن؛ بسبب توفر الخشب والقطران والحديد اللازمة لصناعاتها. واعتمدت الصناعات الغذائية على المنتجات الزراعية والحيوانية، كما تطرقت الروض المعطار إلى بعض الصناعات العلاجية، باستخدام الأعشاب البرية الطبيعية. أخيراً، لعبت التجارة الداخلية والخارجية في بلاد المغرب، دوراً كبيراً في ازدهار أوضاعها الاقتصادية، فانعكس ذلك كله إيجاباً على أحوال الناس المعيشية.

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي، الحميري، الروض المعطار، الثروات الطبيعية، الأحوال الاقتصادية.

مقدمة

تستقصي هذه الدراسة معالم الأوضاع الاقتصادية والثروات الطبيعية في بلاد المغرب الإسلامي، من خلال ما ورد في كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الصنهاجي، السبتي (ت. 900/هـ-1495م). وكان الحميري قد وُلد بمدينة سبتة الساحلية (ابن حجر العسقلاني، 1993م: 32/4)، ونشأ في كنف أسرته التي تمتعت فيها بمكانة كبيرة خلال فترات طويلة (كراتشوفسكي، 1957م: 447/1). وعندما شب تنقل بين مختلف مدن المغرب والأندلس، وأصبح عالماً في الجغرافيا والبلدان والسير (الزركلي، 2002م: 53/7)، ووصف بالصلاح وكثرة الحفظ (ابن حجر العسقلاني، 1993م: 33/4).

ويُعدُّ كتاب الروض المعطار من أشهر مؤلفات الحميري، الذي انتهى من تأليفه عام 866هـ-1461م بمدينة جدة في الحجاز، وهو مصنف في الجغرافيا الوصفية حول بلاد المغرب والأندلس بصورة رئيسية، مع أنه لم يهمل بلاد المشرق (كراتشوفسكي، 1957م: 447/1، 449). وذكر الحميري هدفه من وراء تأليفه، قائلاً إنه قصد ذكر المواضع المشهورة، وما اشتملت عليها من الصفات والأخبار والوقائع وآثار الأمم، وطعمها بشيء من الطرائف والنوادر الغريبة؛ ترويحاً عن نفس القارئ. وأشار إلى مصادره، وفي مقدمتها كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت 560هـ-1164م)، واعتمد منهجه في ترتيب المواقع الجغرافية على حروف المعجم، وحرص على الإيجاز (الحميري، 1984م: 2-1). وتكمن أهمية الروض المعطار في أنه يمثل حقلاً مهماً للدراسات الجغرافية والتاريخية، وبخاصة في الجناح الغربي من العالم الإسلامي.

وأما بخصوص هذه الدراسة، فيتمثل حيزها المكاني ببلاد المغرب الإسلامي، التي امتدت من آخر جبال أطلس المتاخمة لإقليم برقة⁽¹⁾ شرقاً، على نحو ثلاثمائة ميل إلى الشرق من الإسكندرية، حتى مدينة ماسة الواقعة جنوب مدينة أغادير على ساحل الأطلسي، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الإفريقية الكبرى وجبال درن⁽²⁾ جنوبي بلاد المغرب الأقصى (الوزان، 1983م: 28/1).

(1) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وأفريقية، وبينها وبين البحر ستة أميال، وهي قاعدة الإقليم المسمى بها (الحميري، 1984م: 91).

(2) جبل درن: يقع النواحي الجنوبية من المغرب الأقصى، وهو جبل عظيم معترض في الصحراء، على بعد عشرة أميال من مدينة درعة (الحميري، 1984م: 128).

واستندت الدراسة إلى تقسيم مادتها وفق الأقاليم الجغرافية لبلاد المغرب، وهي: المغرب الأدنى الذي ضمّ إقليمي برقة وطرابلس⁽³⁾ والبلاد التونسية الحالية حتى مدينة بجاية⁽⁴⁾، والمغرب الأوسط الذي امتدّ حتى نهر ملوية⁽⁵⁾، فشمّل معظم البلاد الجزائرية، وأما الإقليم الثالث فهو المغرب الأقصى، الذي امتدّ من النهر المذكور حتى المحيط الأطلسي (سالم، د. ت: 40-41).

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على ما اشتمل عليه الروض المعطار حول ثروات بلاد المغرب المائية، والزراعية الحقلية والشجرية المثمرة، والحيوانية والسّمكية، والثروات الطبيعية والصناعات المحلية والحركة التجارية، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف؛ اتبعت المنهج التاريخي الاستقصائي الوصفي، فقسّمت مادتها إلى ثلاثة مباحث رئيسة، وانبتق عن كلّ منها عددٌ من المطالب.

المبحث الأول الثروة الزراعية في بلاد المغرب

تعدّدت المقومات التي اعتمدت عليها الثروة الزراعية ببلاد المغرب، وتمثّلت بالآتي:

المطلب الأول: الثروة المائية (مصادر مياه الري):

من بديهيات القول إنّ توفر مصادر مياه الريّ الدائمة في هذا البلد أو ذلك، ينعكس إيجاباً على الإنتاج الزراعي كمّاً ونوعاً، وتتمثّل هذه المصادر المائية بالأنهار وعيون الماء والوديان الجارية والثلوج، والأبار والصهاريج التي خصّصت لجمع مياه الأمطار. وللحديث عن هذه الثروة وأهميتها للنشاط الزراعي في المغرب الإسلامي، ينبغي تتبّع ذلك بحسب أقاليمه الجغرافية:

أ. المغرب الأدنى: تُعتبر الأنهار وعيون الماء والوديان دائمة الجريان في مقّمة مصادر مياه الريّ في هذا الإقليم، ومنها نهر سبيوس الذي ترفده وديان صغيرة ناتجة عن ذوبان الثلوج من جبل زغوغ⁽⁶⁾، ويعبر هذا النهر أراضي مدينة بونة (عّابة) الساحلية، ما جعل أراضيها خصبة وصالحة للزراعة (الجميري، 1984م: 115).

ولمدينة قفصة الواقعة في بلاد الجريد⁽⁷⁾، بين القيروان⁽⁸⁾ وقابس⁽⁹⁾ عديدٌ من المصادر المائية الداخليّة والخارجيّة، إذ اشتملت في داخلها على عينين كبيرتين ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفائهما وغازاته، ويخرج منهما واد كبير يسقي نصف غابة المدينة ونصف أرضها، ويُسمّى الأهالي الماء الخارج منها بالماء الداخل، وأما النصف الثاني فيسقى من عينٍ غزيرة خارج المدينة تُسمّى عين المنستير، ويخرج منها واد كبير، فضلاً عن وادي بايش، ويسمونه بالماء الخارج. ولهم مياه غير هذه تُسمّى بالماء الصّغير، يأتي من عيون بقرب المدينة، تُسقي بعض جنّاتهم (الجميري، 1984م: 477-478). ومن بلاد الجريد الأخرى: قرية طولقة الواقعة بجوف بنطيسوس، وحولها عديدٌ من الأودية دائمة الجريان (الجميري، 1984م: 400-401).

وتميّزت مدينة سببية⁽¹⁰⁾ باشمال أراضيها على عيون غزيرة ووديان جارية كثيرة، ولهذا قال الجميري إنّّه لم يكن بأفريقيّة أخصب أرضاً منها ولا أكثر بساتين (الجميري، 1984م: 304). وأما مدينة قابس، فلها واد يسقي بساتينها وأرضها ومزارعها، وأصله من عين في جبل بين الجنوب والغرب، ويصبّ في البحر (الجميري، 1984م: 451). وتقع نفاوة على بعد سنّة أيام من القيروان، وبينها وبين قابس ثلاث مراحل، ويمرّ بأراضيها نهرٌ، وتحيط بها عديدٌ من العيون (الجميري، 1984م: 578). ووُصفت باجة بأنّها مدينة كبيرة تقع بقعة مستوية من الأرض، وبينها وبين طبرقة⁽¹¹⁾ مرحلة، وهي مدينة كثيرة الأنهار والعيون، وفي مقدّمتها عينٌ كبيرة تحت سور المدينة تُسمّى عين الشمس (الجميري، 1984م: 75).

(3) طرابلس: تقع على بُعد ثلاثة أيام من جبل نفوسة، وتبعد عن سرت عشر مراحل (الجميري، 1984م: 389). المرحلة: مسافة يقطعها السائر في نحو يوم (مجمع اللغة العربيّة، 2004م: 335).

(4) بجاية: مدينة ساحليّة تقع على بعد خمسين ميلاً إلى الشّرق من مدينة جيجل (الجميري، 1984م: 184).

(5) ملوية: ينبع من ملتقى الأطلسين المتوسّط والكبير، ويصبّ في البحر المتوسّط (حسن، 1980م: 233).

(6) زغوغ: أو يدوغ، يقع بالقرب من مدينة بونة (عّابة)، وهو جبل "عالي الذروة، سامي القمّة" (الإدريسي، 2002م: 291/1).

(7) بلاد الجريد: إقليمٌ يمتدّ من بسكرة في زاب أفريقيّة، وينتهي قبالة جزيرة جربة، وتبعد بعض مدنه كثيراً عن البحر المتوسّط كقفصة وتوزر، الواقعتين على بُعد ثلاثمائة ميل إلى الداخل (ابن خلدون، 1910م: 200/2؛ الوزان، 1983م: 142/2). وسمّيت ببلاد الجريد؛ بسبب كثرة نخيلها (كربخال، 1984م: 170/3).

(8) القيروان: قاعدة بلاد المغرب الأدنى وأهم مدائنها، وتقع على بُعد مسيرة ثلاثة أيام من تونس، وبينها وبين سببية سبعون ميلاً (الجميري، 1984م: 142؛ القلقشندي، 1910م: 101/5).

(9) قابس: من بلاد الجريد، وتقع على بُعد ثلاثة أميال من البحر، وعليها سورٌ وخنق، وهي في أفريقيّة كدمشق في الشام؛ ينزل إليها نهران من جبل في الجهة الجنوبيّة منها، واشتهرت بزراعة الموز وحجّ العزير والخيار (القلقشندي، 1910م: 104/5).

(10) سببية: مدينة قديمة مسوّرة تبعد عن القيروان مرحلة، ولها رباطٌ ومياه وبساتين (الإدريسي، 2002م: 294/1).

(11) طبرقة: تقع بين درنة وباجة، وبينها وبين بنزرت سبعون ميلاً (الجميري، 1984م: 386).

ويسقي أهل مدينة باغاية الواقعة بقرب مدينة مسكيانة⁽¹²⁾ مزروعاتهم وأشجارهم من وادٍ يجري إليها من جهة الجنوب (الجميري، 1984م: 76). وبوسط مدينة الأربس⁽¹³⁾ عين ماء جارية عذبة غزيرة، كذلك الواقعة بوسط آبة (الجميري، 1984م: 6)، وأخرى حول تيفاش⁽¹⁴⁾، وكذلك في تقيوس في بلاد قسطنطينية، على بُعد عشرين ميلاً من حمة مطماطة⁽¹⁵⁾ (الجميري، 1984م: 139-140).

وبسبب الطابع الصحراوي لبعض المناطق؛ فقد اعتمدت تجمعاتها السكانية في الزراعة على الموائل⁽¹⁶⁾ الخاصة بجمع ماء المطر، كإقليم برقة، الذي ضمَّ عديداً من المدن، كأجدابية⁽¹⁷⁾، التي اعتمدت أيضاً على الآبار المنقورة بالصخر (الجميري، 1984م: 12). وأما مدينة المهديّة⁽¹⁸⁾ فقد اشتملت على ثلثمائة وستين ماجلاً (الجميري، 1984م: 172). وحرص أهالي مدينة أوجلة الواقعة على بعد عشر مراحل في الصحراء من برقة على بناء عديدٍ من الموائل (الجميري، 1984م: 64).

ونظراً لوقوع القيروان في منطقة صحراوية فقد افتقرت إلى المياه الجارية؛ فاعتمد أهلها على مياه الأمطار (القلقشندي، 1910م: 101/5)، حيث كانوا يجمعونها في ماجلٍ كبيرٍ بداخلها، فضلاً عن خمسة عشر ماجلاً بخارجها لريِّ مزروعاتهم (الجميري، 1984م: 486-487)، وكانت المهديّة إذا قطعت وفُقد الماء فيها تلجأ إلى استحضاره من موائل مدينة القصر القديم، الواقعة على بعد ثلاثة أميال جنوبي القيروان (الجميري، 1984م: 476)⁽¹⁹⁾. ونظراً لانعدام المياه الجارية في محيط مدينة الخرز الساحلية الواقعة على بعد مرحلة خفيفة شرقي بونة، فقد اعتمد أهلها على الآبار المخصصة لتخزين مياه الأمطار، ولهذا كانت قليلة الزرع، ما اضطرهم على الدوام إلى جلب قوتهم من بوادي العرب المجاورة (الجميري، 1984م: 538)، وهذا ينطبق على مدينة طرابلس؛ إذ لم يكن بها ماء جارٍ، بل آبارٌ عليها عديدٌ من السواقي (القلقشندي، 1910م: 104/5).

ب. المغرب الأوسط: اعتمدت مدن المغرب الأوسط هي الأخرى على مصادر مائية مختلفة، كالأنهار والوديان والينابيع وغيرها، ومنها مدينة بجاية. فعلى نحو ميلٍ منها يأتيها نهرٌ من جهة الغرب، فضلاً عن عيون الماء، وتعتمد عليها في سقيا مزروعاتها وبساتينها، وذلك باستخدام النواعير⁽²⁰⁾ (الجميري، 1984م: 80-81). ويعتمد سكان أجريسيف⁽²¹⁾ الواقعة في الأحواز الغربية لمدينة تلمسان⁽²²⁾ في سقيا بساتينهم الكثيرة على نهر ملوية (الجميري، 1984م: 12).

ومن المدن التي اتخذت من نهر شلف⁽²³⁾ مورداً للمياه: مدينة ماكسن التي اشتملت أيضاً على العيون (الجميري، 1984م: 331)، وكذلك مدينة مليانة الواقعة على ضفاف النهر المذكور بين تنس⁽²⁴⁾ والمسيلة⁽²⁵⁾، حيث يسقي أكثر مزارعها (الجميري، 1984م: 547)، ثم مدينة الخضراء الواقعة على بُعد مرحلة من مليانة (الجميري، 1984م: 223). واعتمدت مدينة مستغانم⁽²⁶⁾ على هذا النهر، فضلاً عن العيون في ريِّ أشجارها ونباتاتها، وبخاصة القطن (الجميري، 1984م: 558).

وتقع مدينة أرشقول على ساحل البحر المتوسط في الجهة الشمالية الغربية من بلاد المغرب الأوسط، وبينها وبين تلمسان مرجٌ سهليٌّ زراعيٌّ طوله خمسة وعشرون ميلاً، وعلى بعد ميلين إلى الشرق من أرشقول يجري نهرٌ تافنا، وتعتمد عليه بالإضافة إلى الآبار في سقيا أهلها وأراضيها ومواشيتها (الجميري، 1984م: 26-27). ويشقُّ غابة مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب نهرٌ كبيرٌ ينحدر من جبال أوراس⁽²⁷⁾، ويسير في أراضيها نحو ستة أميال، يسقي بساتينها ونخيلها (الجميري، 1984م: 114). ويأتي تاهرت الواقعة على طريق المسيلة من تلمسان نهرٌ من ناحية الغرب، ولها نهرٌ آخر مصدره عيون متدفقة (الجميري، 1984م: 126)، ويشقُّ أحدُ الوديان مدينة أفكان الواقعة بين تلمسان وتنس، ويمضي منها إلى

(12) مسكيانة: تبعد مرحلة عن مجانة، ولها سوقٌ كبير، وعيونٌ وزروعٌ ومكاسب (الإدريسي، 2002م: 295/1).

(13) الأربس: تقع في منطقة سهلية على بعد ستين فرسخاً* جنوب مدينة تونس، وعلى بعد مسيرة ثلاثة أيام من القيروان، وعلى بعد اثني عشر ميلاً إلى الشرق من آبة (الجميري، 1984م: 24-25؛ كرخال، 1984م: 95/3). *الفرسخ: يساوي ثلاثة أميال، أو ستة كيلومترات (هننس، 1980م: 94).

(14) تيفاش: تسمى تيفاش الظلمة، وتقع على بعد مرحلة من مدينة الأربس، وهي مدينة قديمة في سفح جبل، ولها بنايةٌ وعيونٌ ومزارع كثيرة (الحموي، 1977م: 66/2-67؛ الجميري، 1984م: 146).

(15) حمة مطماطة: تقع في جهة قسطنطينية، بمقربة من مدينة قابس (الجميري، 1984م: 200).

(16) ماجل: كلُّ ماءٍ في أصل جبلٍ أو وادٍ، أو حفرةٌ صخريةٌ لجمع الماء (الفيروز آبادي، 1301هـ: 49/4).

(17) أجدابية: مدينة صحراوية في حيز برقة، وهي آخر ديار لواتة، وتبعد عن البحر أربعة أميال (الجميري، 1984م: 11-12). ولواتة قبيلة تنتمي إلى البربر البتر (سالم، د. ت: 52).

(18) المهديّة: تقع على بُعد ستين ميلاً من القيروان، والبحر محيطٌ بها من جهاتها الثلاث (الجميري، 1984م: 561؛ وعن بنايتها، يُنظر: القلقشندي، 1910م: 101/5).

(19) أضاف الوزان أنّ القيروان كانت تستجلب الماء من وسلات (الوزان، 1983م: 90/2)، وتقع الأخيرة إلى الشمال الغربي من القيروان.

(20) الناعورة: الساقية أو السانية أو الدولاب، وهي عجلة مهمتها رفع الماء من النهر إلى الأعلى، وقد يحركها بغلٍ أو جمل، ثم يمرُّ الماء عبر قنوات إلى البساتين (القلقشندي، 1910م: 155/5، 169؛ الوزان، 1983م: 75/1، 284).

(21) أجريسيف: كرسيف، قصرٌ قديمٌ على نهر ملوية، على بعد خمسة وعشرين ميلاً من تويريرت (الوزان، 1983م: 350/1).

(22) تلمسان: مدينة أثرية، وهي عبارة عن مدينتين يفصل بينهما سور، ولها نهرٌ يأتيها من جبل الصخرتين، وللشور الخارجي خمسة أبواب، وهي قاعدة المغرب الأوسط (الإدريسي، 2002م: 248/1؛ البكري، د. ت: 76).

(23) شلف: ينبع من جبال ونشريس، ويجري من الجنوب إلى الشمال، ويسير بين تنس وتلمسان، ويصل جنوب مدينة الجزائر، ثم يسير غرباً بجذء الساحل، ويصبُّ في البحر المتوسط عند مدينة مستغانم (كرخال، 1984م: 38/1؛ مؤنس، 2000م: 26).

(24) تنس: تقع بقرب مليانة، على بُعد ميلين من البحر (الجميري، 1984م: 138).

(25) المسيلة: تقع على بعد اثني عشر ميلاً من قلعة بني حماد (الجميري، 1984م: 469).

(26) مستغانم: مدينة ساحلية في المغرب الأوسط، على بعد أربعة عشر فرسخاً شرقي وهران (كرخال، 1984م: 350/2).

(27) جبال أوراس: تقع على بعد ثمانين ميلاً من بجاية، وستين ميلاً من قسطنطينية، وتتأخم الأوراس جنوباً صحراء نوميديا (الوزان، 1983م: 102/2).

تاهرت (الحميري، 1984م: 51). ولمدينة تلمسان نهراً يسمى سطفيسيف، ولها أيضاً ماءً مجلوب من عيون تسمى لوريط على بعد ستة أميال منها (الحميري، 1984م: 135). وأما مدينة طنبنة، أعظم بلاد الزّاب، الواقعة على بعد مرحلتين من المسيلة فتسقى أراضيها جداول الماء العذب، ولها نهر يمرُّ بغابتها، وقد بُني على ضفافه صهريجٌ كبير، وتُسقى منه مساحات واسعة (الحميري، 1984م: 387).

ومن مواقع المغرب الأوسط التي اعتمدت على الأنهار والوديان والينابيع؛ مدينة أسلي الواقعة شرقي أرسقول، بمقربة من وهران (28)، حيث يمرُّ بها نهراً يُسمى باسمها (الحميري، 1984م: 58). وأما قلعة هوّارة فتقع بقرب تاهرت، وهي قلعة منيعة، وتحته مرجٌ زراعيٌّ طوله نحو أربعين ميلاً يشقُّه نهر سيرات ويسقي أكثر أرضها، فسُمِّي ذلك المرج باسم النّهر المذكور (الحميري، 1984م: 475). وبقرية ماما بقرب تاهرت وإد عذب عليه مزارعها وغلّاتها (الحميري، 1984م: 517). ويسقي نهراً سهر أراضي مدينة المسيلة في بلاد الزّاب بقرب قلعة أبي طويل (الحميري، 1984م: 558). وفي شرشال (29) مائة جارية وأبارٌ عذبة (الحميري، 1984م: 340). وأخيراً؛ يعتمدُ حصنٌ بلزمة الواقع على بعد يومين من قسنطينة (30) على مياه الأبار في سقيا مزارع وأشجاره (الحميري، 1984م: 103). وأما قسنطينة، فكان لها ماءٌ يأتيها من قرطاجنة (31) على قناطر، وفيها مواجل كبيرة مثل التي في الأخيرة (الحميري، 1984م: 480).

ت. المغرب الأقصى: من مواقع بلاد المغرب الأقصى التي اعتمدت في سقيا أراضيها على الأنهار والوديان والعيون؛ مدينة سبتة، وكان لها ماء مجلوب من نهر على بعد ثلاثة أميال منها، يأتي إليها عبر قنوات (الحميري، 1984م: 303). وأما بليونش فهي قرية كبيرة على جبل موسى (32) بالقرب من سبتة، كان يتمُّ جلب الماء منها إلى سبتة لمسافة ستة أميال في قناة تحت الأرض (الحميري، 1984م: 103). ولطنجة نهراً كبيراً ينبع من جبال بغيريها ويصبُّ في البحر المتوسط (الحميري، 1984م: 396). ويمرُّ بنگور نهران أحدهما يسمى نكور، وبه سميت، وهي مدينة كبيرة تقع بقرب مليلة، وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال (الحميري، 1984م: 576-577).

وأما مدينة بادس، وهي عبارة عن حصنين، على بُعد مرحلة من تهودة (33) بالمغرب الأوسط، فتسقي أراضيها مائة غزيرة ناتجة عن تدفق الينابيع (الحميري، 1984م: 75). وفي المنطقة الحدودية بين المغربيين الأوسط والأقصى تقع مدينة تازا (34)، وتشتقُّ بسائطها جداول المياه العذبة وأنهاراً تسقي جميع بساتينها (الحميري، 1984م: 128). وتكثر عيون الماء في وجدة، الواقعة على بعد ثلاث مراحل من تلمسان (الحميري، 1984م: 607)، وعلى بعد أربعين ميلاً جنوب المتوسط (الوزان، 1983م: 12/2). وتعتمد أصيلا (35) الساحلية على أبار جمع مياه الأمطار، وهي مدينة عامرة أهلة كثيرة الخير والخصب (الحميري، 1984م: 42).

وتعدُّ مدينة فاس قاعدة المغرب الأقصى، وهي مدينتان متقابلتان يشقُّهما وادي فاس، يأتي من عيون تُسمى عيون صنهاجة، وهذا الوادي هو من روافد نهر سبو الواقع على نحو ثلاثة أميال من المدينة (الحميري، 1984م: 434-435)، ويحيط بها من شرقها وغربها، ومنبعه من جبل في بلاد بني واريثين (36)، ويجاور نهر سبو نهراً آخر يسمى وادي ورغة، ويلتقي مع سبو في موضع يُسمى المعمورة قبل أن يصبَّ في الأطلسي، وتسقي هذه الأودية أراضي مدينة سبتة؛ ما جعلها من أكثر بلاد المغرب الأقصى خصباً (الحميري، 1984م: 435، 606؛ حسن، 1980م: 233). وتقع مدينة مكناسة الزّيتون على أرض مرتفعة، وتبعد عن فاس نحو أربعين ميلاً، وثلاث مراحل من قصر ابن عبد الكريم (37)، وتشتمل على قرى وحصون كثيرة متصلة، وتتميز تربة أراضيها بالخصب، وتتصل بها جنّات وزروع، وتشقُّها عديدٌ من الجداول المائية؛ بسبب كثرة العيون بجوارها (الحميري، 1984م: 544).

وأما نهر زيز (38) فيقع في صحراء إقليم المغرب الأقصى، وتعتبر سجلماسة (39) من أهم المدن الواقعة على ضفافه، وعدّها الحميريُّ من أعظم مدن هذا الإقليم، وقدَّرت المسافة بينها وبين البحر بخمس عشرة مرحلة، ويبدو أنّه جانب الصّواب عندما ذكر أنّه ليس بهذه المدينة عينٌ ولا بئر (الحميري، 1984م: 305). وتقع مدينة درعة في جهات سجلماسة، وبينهما ثلاث مراحل، وبين درعة والسّوس الأقصى (40) أربعة أيام (الحميري، 1984م: 236). وتُعرف درعة بواديتها الكبير الذي يجري من المشرق إلى المغرب، وينبعث من جبل درن. وبالقرب من وادي درعة تقع أغمات، وبينها وبين البحر مسافة أربعة أيام، وتخترق روافد الوادي المذكور أراضيها يميناً وشمالاً، فتسقي البساتين والمزروعات. وهذه المدينة يكفنها جبل درن، الذي عادةً ما تذوب ثلوجه فتسيل في أراضيها (الحميري، 1984م: 46). ومن المواقع الأخرى التي اعتمدت على وادي درعة في

(28) - وهران: مدينة ساحلية في المغرب الأوسط على بعد مائة وأربعين ميلاً من تلمسان (الوزان، 1983م: 30/2).

(29) - شرشال: مدينة في المغرب الأوسط في ناحية برشك، وبينهما عشرون ميلاً، ومن شرشال إلى الجزائر سبعون (الحميري، 1984م: 340).

(30) - قسنطينة: تقع على بعد ستة أيام من بجاية (الحميري، 1984م: 481).

(31) - قرطاجنة: تقع على بعد عشرة أميال شمال شرق مدينة تونس (الحميري، 1984م: 142).

(32) - جبل موسى: يقع على بعد ميلين من سبتة، ويُنسب لموسى بن نصير (ت. 97هـ/716م)، وتجاره بساتين كثيرة ومياه وفيرة (الإدرسي، 2002م: 528/2).

(33) - تهودة: من بلاد الزّاب بالقرب من بسكرة (الحميري، 1984م: 142).

(34) - تازا: مدينة ومنطقة في شمال شرق المغرب الأقصى، وتبعد عن فاس بنحو خمسين ميلاً (الوزان، 1983م: 354/1).

(35) - أصيلا: على شاطئ الأطلسي، وتبعد عن فاس بنحو مائة وأربعين ميلاً (الوزان، 1983م: 312/1).

(36) - واريثين: أو واريثين، هي ناحية على بعد ثمانية عشر ميلاً شرق فاس، وتضمُّ عدداً من القرى (الوزان، 1983م: 298/1).

(37) - قصر عبد الكريم: مدينة بالمغرب الأقصى على نهر من جهتها الشمالية يصبُّ في الأطلسي، وتحيط به الكروم والبساتين (الفلقسندي، 1910م: 170/5).

(38) - زيز: ينبع من جبال أطلس، ويدخل في أراضي سجلماسة، ويسقي أراضيها (الوزان، 1983م: 254-255).

(39) - سجلماسة: مدينة سهلية تقع في أول الصحراء، ولا يعرف في غربيتها ولا قبليتها عمران، ومنها يتمُّ الدخول إلى بلاد السودان ثم إلى غانة، وأرضها سبخة، ولها بساتين كثيرة (البكري، د. ت: 148-149).

(40) - السّوس: تقع في أقصى بلاد المغرب الأقصى، وتبعد عن أغمات ست مراحل (الحميري، 1984م: 329-330).

سقىا مزروعاتها وبساتينها مدينة تامدلت، الواقعة في بسائط بلاد السوس، وامتازت بخصوبة تربتها وكثرة إنتاجها، حتى قيل: "تعطي الحبة مائة" (الجميري، 1984م: 128).

وتقع مراکش على بعد اثني عشر ميلاً إلى الشمال من أغمات، وثلاثة أميال جنوب وادي تنسيفت⁽⁴¹⁾، وبينها وبين درن عشرون ميلاً، وتتميز هذه المناطق بخصوبة أراضيها؛ نظراً للمياه التي يورقها الوادي المذكور (الجميري، 1984م: 540). وتتكوّن منطقة السوس الأقصى من مدن كثيرة وبلاد واسعة (الجميري، 1984م: 330)، وقاعدتها مدينة إيكلي الواقعة في سهل من الأرض (الجميري، 1984م: 71). ويشق السوس الأقصى نهراً كبيراً يصب في الأطلسي يُسمى وادي ماست⁽⁴²⁾ (الجميري، 1984م: 330). ومن المدن الواقعة على أحد روافد وادي ورغة مدينة تكرو، وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال (الجميري، 1984م: 134). وفي الجهات الجنوبية من بلاد المغرب الأقصى أيضاً تقع عديد من القرى، منها أنكال الواقعة على ضفاف وادي أم الربيع⁽⁴³⁾، وتتروّد أراضيها من عين ماء جارية بداخلها؛ ما جعلها مزدهرة من الناحية الزراعية (الجميري، 1984م: 35). وكان أهالي أودغشت⁽⁴⁴⁾ يسقون بساتينهم بالدولاب، كما أنّهم لم يعتادوا على زراعة القمح بالمحراث، بل بالفؤوس (الجميري، 1984م: 63).

ويتضح مما ذكر مدى غنى بلاد المغرب بالمصادر المائية على اختلاف أنواعها، ما جعل أراضيها صالحة للزراعة، التي ازدهرت على نحو لافت، كما سيبيّن لاحقاً.

المطلب الثاني: الثروة الحقلية والشجرية المثمرة:

لعبت عديد من العوامل في نهضة الحركة الزراعية في الأقاليم الساحلية والداخلية من بلاد المغرب، بسبب خصوبة تربة أراضيها؛ التي تخترقها أنهار عديدة تصب في الأطلسي والمتوسط (حسن، 1980م: 233)، فضلاً عن مناخها المناسب. وأضاف الفلقشندي عاملاً آخر، وهو هجرة الأندلسيين، وبخاصة إلى بلاد المغرب الأدنى؛ حيث "مصرّوا أقاليمها، ونوّعوا بها الغراس، فكثرت مستنقعاتها، وامتدّ بساطها" (الفلقشندي، 1910م: 102/5).

أولاً: المزروعات الحقلية:

أ. القمح والشعير: وهي زراعة شتوية تعتمد على مياه الأمطار، وتُحصّد في فصل الصيف، واختصت بعض المناطق بزراعة القمح دون غيرها، وثانية بالشعير، وثالثة بالقمح والشعير معاً. ففي المغرب الأدنى اختصت بالقمح مدينة الأنصاريين الواقعة على بعد مسيرة يوم من الأربس (الجميري، 1984م: 32)، وكذلك مدينة باجة، التي تميزت بكثرة قراها، وخصب أراضيها، التي كانت مشقفة سوداء؛ تجود فيها جميع أنواع البذر، فإذا أخصبت لم تكن للحنطة فيها قيمة، وسميت باجة "هري إفريقية"، حيث كانت تمتاز منها جميع بلاد المغرب، ونظراً لغناها وازدهارها الاقتصادي فقد كان الولاة يتنافسون في تولي أمرها، وباسمها سميت باجة الأندلس (الجميري، 1984م: 75). وللاشارة إلى مدى غناها بمحصول القمح قيل عنها "أنّه لو كان اجتان لفاق عدّد حبات القمح عدد حبات الرّمّل" (الوزان، 1983م: 66/2).

أما الشعير فزرع في تيفاش (الجميري، 1984م: 146) وفي جبل نفوسة، وهو جبل عال نحواً من ثلاثة أيام طوياً، ومن قفصة إليه نحو سبعة أيام. وأكثر زرع جبل نفوسة الشعير المتناهي طيباً، ولأهله في خبزه صنعة حذق وتميز، وكان من أطيب الطعام في سائر الأقاليم (الجميري، 1984م: 578). وأما المواقع التي جمعت في زراعتها بين القمح والشعير فهي: أجدايبة والأربس وزويلة المهدية (الجميري، 1984م: 12، 24، 296). وبالإشارة إلى أجدايبة؛ فقد ناقض الجميري ذاته عندما قال بأنّها "ولا شيء حولها من النبات"، وفي الوقت نفسه يذكر أنّها ذات بساتين ونخيل، وبأنّ أهلها يزرعون الشعير والقليل من القمح (الجميري، 1984م: 12).

وفي المغرب الأوسط؛ اختصت بالقمح كل من تنس (الجميري، 1984م: 138)، وقلعة بني حماد التي تُسمى بقلعة بني الطويل؛ الواقعة على بُعد مسيرة أربعة أيام من بجاية، واثني عشر ميلاً من المسيلة (الجميري، 1984م: 469)، ثمّ مدينة مرسى الدجاج؛ الواقعة قرب أشير، على بعد أربعة وعشرين ميلاً من تدلس (الجميري، 1984م: 539).

ولم يسجل الجميري موقعاً بعينه اختصّ بزراعة الشعير وحده، وأما المواقع الأخرى فزرعت الصنّفين، وهي: بجاية وباغاية (الجميري، 1984م: 76، 81)، وبرشك الساحلية على بعد ستة وثلاثين ميلاً من تنس (الجميري، 1984م: 88)، والجزائر، وشرشال، وطبنة، وقسنطينة، والمسيلة (الجميري، 1984م: 163، 340، 387، 481، 558). وزرع القمح في المغرب الأقصى في أودغشت، وفاس، ونفيس بقرب أغمات (الجميري، 1984م: 63، 434، 578). واختصت بادس بزراعة الشعير مرتين في العام (الجميري، 1984م: 75)، وأما السوس فزرع فيها القمح والشعير (الجميري، 1984م: 330). وأخيراً؛ فإنّ من الحبوب الأخرى التي زُرعت في بلاد المغرب الأقصى، الدرة، واشتهرت به

(41). تنسيفت: يجري على بعد أربعة أميال من مراکش، ما بين وادي سبو ووادي سوس، وعليه قنطرة عظيمة (المراكشي، 1949م: 364).

(42). ماست: يأتي السوس الأقصى من الجنوب والشرق من جبل يُعرف بجبل لمطة، ويجري إلى الشمال من مدينة السوس، ويصب في البحر المتوسط (الفلقشندي، 1910م: 174/5).

(43). أم الربيع: ينبع من جبال بلاد المغرب الأقصى الجنوبية، ويصب عند مدينة أزمور على الأطلسي (كربخال، 1984م: 87/1).

(44). أودغشت: مدينة بين صحراء امتونة وبلاد السودان، وتقع بين جبلين، ومنها إلى غانة اثنتا عشرة مرحلة، وبين أودغشت وسلماسة خمسون (الجميري، 1984م: 63-64).

أودغشت وسجلماصة (الجميري، 1984م: 63، 305)، وانتشرت زراعة الأرزّ بالسّوس (الجميري، 1984م: 330). وزرع أهل سجلماسة الدُّخْن (45) (الجميري، 1984م: 305).

ب. الفطاني والخضروات: الفطاني هي ما ينتج إحصاره في البيت لفترات طويلة؛ بهدف طبخه، كالفقنات البقوليات؛ كالعُدس والحُمص والبقول والذُّرّ، وما شابه. وأشار الرّوض المعطار إلى بعض مواقع زراعتها في بلاد المغرب؛ كأجادية، وتنس (الجميري، 1984م: 12، 128)، وتوزر (46) التي اشتهرت بالبقوليات الموصوفة بغاية في اللذة والجودة (الجميري، 1984م: 144)، وأما باجة، فجاد بها الحُمص والبقول (الجميري، 1984م: 75). وأما بخصوص الخضروات، فلم يذكر الجميري أنواعاً بعينها سوى القثائيات التي زُرعت في أودغشت في بلاد المغرب الأقصى (الجميري، 1984م: 63).

ت. قصب السُّكَّر: اقتصرت زراعة قصب السُّكَّر وفق ما تبيّن من الجميري على بلاد المغرب الأقصى، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنّ هذا النّوع من النّباتات يحتاج إلى وفرة المياه، فضلاً عن الحرارة العالية، وبخاصة في الجنوب. فزرع في أراضي سبتة (الجميري، 1984م: 303)، وفي إيكلي زُرع على نطاق واسع، حتّى قيل: "وأكثرُ شُرب أهلها إنّما هو ماء قصب السُّكَّر" (الجميري، 1984م: 71)، وعرفت السّوس بكونها "بلاد السُّكَّر"، وقصبه فيها "ليس في الأرض مثله طويلاً وعرضاً وحلاوة وكثرة ماء" (الجميري، 1984م: 329-330)، وزُرع أيضاً في حوض نهر ماست (الجميري، 1984م: 522).

ث. الفطن والكتّان: اشتهر بالفطن بالمغرب الأدنى إقليم بركة، وفي الأوسط مستغانم والمسيلة (الجميري، 1984م: 91، 387، 558). وكثُر في المغرب الأقصى في داي الواقعة أسفل جبل درن، على بعد أربعة أيّام من أغمات ومرحلة من تادلي (الجميري، 1984م: 231)، وكذلك في سجلماسة (الجميري، 1984م: 305). وأما الكتّان فغرقت به مدينة مقرّة، الواقعة على بعد مرحلة من المسيلة بالمغرب الأوسط (الجميري، 1984م: 556). ويبدو أنّ هذه الأنواع من المزروعات تحتاج هي الأخرى إلى وفرة مصادر مياه الرّي.

ج. الرّعفران والرّياحين: يظهر من خلال الرّوض المعطار أنّ الرّعفران (47) قد اختصّت بزراعتها بلاد المغرب الأدنى دون غيرها، وذلك في بلدة آبة، التي ضاهى زعفرانها نظيره الأندلسي كما وجوده (الجميري، 1984م: 6)، وزُرع أيضاً في الأريس (الجميري، 1984م: 24). وفي مجانة المطاحن، الواقعة على بعد ثلاث مراحل من قسنطينة، زُرع بصل الرّعفران (الجميري، 1984م: 525). وفي قفصة وُجدت بساتين من الرّياحين، كالأس (48) والياسمين والرّجس والسّوس (49) والبنفسج (50) وغير ذلك، ووردها أكثره أبيض اللون (الجميري، 1984م: 478)، والرّياحين هي من الثّروات النّباتية الطّبيعية التي لم يتدخّل الإنسان في زراعة معظم أنواعها.

ثانياً: الأشجار المثمرة:

تعدّدت أصناف الأشجار المثمرة في بلاد المغرب، بحسب ما رود في الرّوض المعطار، على النّحو الآتي:

أ. الرّيتون: اشتهر إقليم المغرب الأدنى عموماً، والبلاد التّونسية على وجه الخصوص، أكثر من غيره بأشجار الرّيتون، حيث وُجدت في كلّ من: نفزاوة (الجميري، 1984م: 114)، وتماجر الواقعة بين القيروان والمهدية (الجميري، 1984م: 136)، وكذلك في تقيوس، وتيملمين، إحدى مدن نفزاوة، وزويلة المهدية (الجميري، 1984م: 136، 140، 146، 296)، وفي صفاقس على بعد ثلاثة أيّام من قفصة ومرحلتين من المهدية (الجميري، 1984م: 365)، وطرّة إحدى مدن نفزاوة، وقابس، وقفصة، ولبنة بنواحي طرابلس (الجميري، 1984م: 387، 451، 478، 508).

ولا يزال الرّيتون في البلاد التّونسية يتصدّر قائمة الأشجار المثمرة؛ حيث بلغ عدد أشجاره عام 2017م ما يقرب من ثمانين مليوناً. وذلك بسبب توفّر عديد من العوامل، كالمناخ المتوسّطي المعتدل، والنّظام الحراريّ المتوازن، ووفرة مياه الأمطار، والتّربة الرّملية العميقة في وسط البلاد وجنوبها (للاطلاع على التّفصيل؛ يُنظر: وزارة الفلاحة والموارد المائيّة والصّيد البحري، 2017م: 1-8).

وفي المغرب الأوسط زُرع الرّيتون في بسكرة وطولقة (الجميري، 1984م: 113، 401). وأما المواقع التي اشتهرت بزراعتها في المغرب الأقصى فهي جبل درن ودرعة، ومراكش، ومكناسة الرّيتون (الجميري، 1984م: 235، 541، 544). وأشار الورّان أنّ جني ثمار الرّيتون كان يتمّ بالنّسلق على الشّجرة واستخدام عصيّ طويلة لضرب الأغصان، فيسقط الثّمَر (الورّان، 1983م: 78/1).

ب. النّخيل: سجّل الرّوض المعطار عديداً من مواقع المغرب الأدنى التي اشتهرت بالنّخيل وإنتاج الثّمَر، وهي: أوجلة، ونفزاوة، وتقيوس (الجميري، 1984م: 64، 114، 140)، وتوزر التي عُدت أكثر بلاد الجريد ثمرًا، ومنها تمتاز به جميع بلاد أفريقية وبلاد الصّحراء لكثرتة بها

(45). الدُّخْن: من الفصيلة النّجيلية، صنيئة المنشأ، وتتقارب خصائص الدُّخْن الغذائيّة من الحنطة، وكان يستخدم غذاءً أيّام القحط والمجاعات (حايك، 2001م: 91/2).

(46). توزر: قاعدة كورة قسطنطية من البلاد الجريدية، وتقع على أطراف الصّحراء، وبينها وبين حمة مطماطة مرحلة صغيرة (الجميري، 1984م: 144).

(47). زعفران: من فصيلة السّوسنات، وهو نبات درنيّ مهده بلاد الشّرق، وأنواعه عديدة، ويتمّ جمعه بقطف الأزهار صباحاً، وتراوحت ألوانه ما بين الأصفر والأحمر والبرتقالي، ويستخدم كتوابل، وهو نافع لأمراض المعدة، وحالات الطّمث (حايك، 2001م: 101-102). وقيل في الرّعفران: "وإذا كان في بيت لا يدخله سام" (الفيروز آبادي، 1301هـ: 38/2).

(48). أس: يُسمّى في بلاد المغرب بالرّيحان بسبب رائحته القويّة، ينبت برياً في الجبال السّاحلية، ومنه أنواع تُزرع في مزارع خاصّة (نخال، 2009م: 114).

(49). سوسن: نوعٌ مزهرٌ من الفصيلة السّوسنية، أزهاره صفراء، يعيش على أطراف المستنقعات ومجاري المياه، وموطنه شمال إفريقيا وآسيا الغربيّة، وله استخدامات طبيّة، كمنسحل، كما أنّه يُستخدم في صناعة العطور (حايك، 2001م: 115-116؛ نخال، 2009م: 88).

(50). بنفسج: نبات بريّ معمر، خفيف الرّغب، من فصيلة البنفسجيات، يعلو من 10 إلى 15 سم، أزهاره بنفسجية قاتمة اللون، طول الواحدة 2 سم، خماسية الكاسات والبتلات، عطرة الرّائحة، وتستخدم لمعالجة السُّعال، والالتهابات في الجهازين البوليّ والهضمي، وقرحة المعدة وأمراض العيون (حايك، 2001م: 38-39).

ورُخصه (الجميري، 1984م: 144)، وكذلك تيمليمن، وجزيرة جربة، وحمّة مطماطة، وسرت⁽⁵¹⁾، وطرة وغماس⁽⁵²⁾ (الجميري، 1984م: 146، 158، 200، 312، 387، 427). وبقابس "نخل ملتفت" ورطب لا يعدله شيء في طبيبه، وأهلها يجنونه طرياً، ثم يودعونه دنانير⁽⁵³⁾، فيخرج بعد مدة له عسلية لا يقدر على تناولها إلا بعد زوال تلك العسلية، ثم لا يحاكيه شيء من الثمر في طيب مذاقه" (الجميري، 1984م: 450-451)⁽⁵⁴⁾. وأما غابة قفصة فكثيرة النخل، "وفيها نوع من الثمر يُسمى الكسبا ليس في بلد مثله، وهو أكثر تمرهم، يكون في الثمرة قتر، في جرم بيض النجاج، تكاد تنفذها ببصرك لصفاء لونها ورقّة بشرتها، وهم يجعلونه في أزيار، فإذا أخرجوه منها بقي في قعر الزير عسل ألد من عسل النحل وأعظم، وهم يصرفونه في طعامهم كما يصرف العسل، وهذا الثمر تعمل منه الحلوات" (الجميري، 1984م: 478). وأخيراً أراضي مدينة لبدّة التي اشتملت على كثير من أشجار النخيل (الجميري، 1984م: 508).

وفي بلاد المغرب الأوسط زرع النخيل بكثرة في بسكرة، فعرفت ببسكرة النخل، وأكثره في غابة كبيرة قتر طولها بسنة أميال، وفيها أجناس عديدة من الثمر كالكسبا، ويسمي الجميري هذا الصنف أيضاً بالصيحاني، ويضرب به المثل لفضله على غيره، وهناك نوع آخر يعرف بالياوي، أبيض أملس، وكان عبيد الله الشيعي (ت. 322هـ/934م)⁽⁵⁵⁾ يأمر عماله بمنع بيعه، ويُبعث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه (الجميري، 1984م: 114-113). ومن المواقع الأخرى: تهودة، وشرشال، وطبنة، وطولقة، والمسيلة، وأركلان (ورقلة في صحراء الجزائر) (الجميري، 1984م: 142، 340، 387، 401، 558، 600).

وظهرت زراعة النخيل في المغرب الأقصى في أودغشت⁽⁵⁶⁾، وإيكلي، وبادس، وتيليت، ودرعة (الجميري، 1984م: 63، 71، 75، 145، 235)، وفي زويلة الصحراء بالقرب من بلاد السودان⁽⁵⁷⁾ (الجميري، 1984م: 295)، وسجلماسة، "وفيها الرطب المسمى البرني، وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها في غابة الصخر" (الجميري، 1984م: 305).

ولعلّ ما ميّز النخيل من حيث أماكن زراعته؛ أنّه كان يكثر على أطراف الصحراء وعلى ضفاف الواحات في المناطق الحارة نسبياً، ومن ناحية أخرى؛ يتضح ممّا ذكر أنّ الثمر كان من الأغذية الرئيسية للسكان، حيث كانوا يتناولونه في موسمهم، ويخزنون الفائض لتناوله في فصل الشتاء على وجه الخصوص.

ت. التفّاح: أشاد الجميري بتفّاح مدينة قفصة في بلاد المغرب الأدنى، وقال عنه "عجيب جليل ذكي الرّاحة يسمونه السّوسي لا يوجد في بلد مثله" (الجميري، 1984م: 478)، وزرع في أراضي مدينة جيجل الساحلية، التي تبعد مرحلة عن ميله (الجميري، 1984م: 184). وزرع أيضاً في ميله على بعد أربع مراحل من قلعة بني حمّاد وثمانية عشر ميلاً من قسنطينة في المغرب الأوسط (الجميري، 1984م: 568-569). وأما في المغرب الأقصى، فاشتهرت بزراعته مدينة أغمات (الجميري، 1984م: 46)، وفي بلاد السّوس عُرف التفّاح المهنّد (الجميري، 1984م: 330)، واشتهرت مدينة فاس، وبخاصّة بعدوة الأندلسيين، بزراعة التفّاح الأطرابلسي، وهو نوع "جليل حسن الطعم والرّاحة" (الجميري، 1984م: 435).

ث. الرّمان والعنب: زرع الرّمان في قفصة بالمغرب الأدنى (الجميري، 1984م: 478)، وأما رمان نكور "فليس يوجد مثله في بلد" (الجميري، 1984م: 577)، واشتهرت به أيضاً كلٌّ من تكرو، وجبل درن، وبلاد السّوس في بلاد المغرب الأقصى (الجميري، 1984م: 134، 235، 329). وعُرفت عديد من المواقع بكثرة أشجار العنب، وهي: تماجر، وجربة، جبل نفوسة في المغرب الأدنى (الجميري، 1984م: 136، 158، 578)، وأما في المغرب الأوسط: جيجل وشرشال (الجميري، 1984م: 184، 340)، والغدير الواقعة بقرب المسيلة من بلاد الزّاب، على بعد ثمانية أميال من قلعة بني حمّاد (الجميري، 1984م: 427)، وقلعة هواره، وميلة (الجميري، 1984م: 475، 569).

وانتشرت زراعة العنب على نحو واسع في المغرب الأقصى في أصادة قرب سبتة، على بعد ستة أميال جنوب يجاجين (الجميري، 1984م: 45)، وفي تيليت (الجميري، 1984م: 145)، وجبل درن، وفيه نوع يُدعى العسلي (الجميري، 1984م: 235)، وسجلماسة، المشهورة بالزبيب "وزبيب عندها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يُزيب إلا في الظل، ويسمى الظلي، وما أصابته الشمس منه زُيب في الشمس" (الجميري، 1984م: 306). وزرع أيضاً في أراضي مدينة سلا⁽⁵⁸⁾ الساحلية، ومنطقة السّوس، حيث العنب العذاري (الجميري، 1984م: 329)، وفي حوض نهر ماست وأراضي مراكش (الجميري، 1984م: 522، 541)، ونفيس "بها أنواعٌ عجيبة من الزّبيب المتناهي طيباً وكثرة" (الجميري، 1984م: 541).

(51) سرت: في إقليم برقة، وتبعد عن طرابلس مائتان وثلاثون ميلاً، وعن البحر ميلان (الجميري، 1984م: 312).

(52) غماس: تقع على بعد سبعة أيام من جبل نفوسة، وكان أكثر طعام أهلها من الكمأة (الفطر)، التي تكبر في أراضيهم حتى تتخذ فيها البرابيع والأراباج أحجاراً (الجميري، 1984م: 427). وهو وصف لا يخلو من المبالغة.

(53) دنانير: مفرد دنة، وهو وعاء ضخم يستخدم للتخزين، وخاصة السوائل (مجمع اللغة العربية، 2004م: 229).

(54) ذكر النجاني: "لا يجتمع في مائدة صيد البرّ وصيد البحر وأصناف الثمر إلا في مائدة من يسكن قابس" (النجاني، 1981م: 87).

(55) عنه باختصار، يُنظر: (الفلقشندي، 1910م: 122/5-123).

(56) على نحو مغاير لما ذكر، يدعي الفلقشندي أنّ أودغشت ليس بها من الفاكهة سوى التين (الفلقشندي، 1910م: 174/5).

(57) بلاد السودان: تقع في الصحراء الإفريقية الكبرى، وهي شديدة الحرارة والرطوبة، وتعتمد على تربية الماشية وزراعة الحبوب، وبها واحات وبعض وديان المياه الجارية (الوزان، 1983م: 77/1).

(58) سلا: مدينة ساحلية عند مصب نهر أبي رقراق، وتبعد عن الرباط ميلاً ونصف، وعن مراكش تسع مراحل (الجميري، 1984م: 319؛ كرخال، 1984م: 134/1؛ الوزان، 1983م: 207/1).

(578). وأما أشجار العنّاب فانتشرت على نطاق واسع في أراضي مدينة بونة، فسَمِيَتْ بسبب ذلك ببلد العنّاب، "ومنه خشب سقوفهم ووقودهم" (الحميري، 1984م: 115).

ج. الأترج والنّارنج: وهي من الحمضيات، وأشار الرّوض المعطار إلى أشجار الأترج (من أنواع الليمون) في المغرب الأدنى، كما في توزر وقفصة (الحميري، 1984م: 144، 478). ولم تسجّل زراعته في المغرب الأوسط، وأما في الأقصى؛ فُجِد في جبل درن، وسبّته، والسّوس (الحميري، 1984م: 303، 235، 329)، وفي عدوة القرويين⁽⁵⁹⁾ بفاس "أترج جليل يوجد بها، ولا يوجد بعدوة الأندلسيين" (الحميري، 1984م: 435). وأما النّارنج⁽⁶⁰⁾ فاشتهرت بزراعته مدينة قفصة (الحميري، 1984م: 478).

ح. السّفرجل والكمثري والثّين والتوت والموز: خلا الرّوض المعطار من ذكر السّفرجل في بلاد المغرب الأدنى، ولكنّه أشار إليه في الأوسط؛ وبخاصّة في تاهرت، وأضاف أنّ "سفرجلها لا نظير له حُسنًا وطعمًا وشمًا" (الحميري، 1984م: 126)، واشتهرت به مدينة تنس والخضراء (الحميري، 1984م: 138، 223)، وشرشال، وفيها "سفرجلٌ عظيمٌ الجُرم ذو أعناق كأعناق القرع الصّغار" (الحميري، 1984م: 340)، وفي مدينة ميلة أيضاً (الحميري، 1984م: 569). وانتشر في المغرب الأقصى في كلّ من جبل درن والسّوس (الحميري، 1984م: 235، 329).

واقترنت زراعة الكمثري على بلاد المغرب الأقصى في كلّ من تكرو، وجبل درن، ونكور (الحميري، 1984م: 134، 235، 577)، وورزيغة الواقعة بين فاس وأغمات (الحميري، 1984م: 608). وزرّع الثّين في المغرب الأدنى في بجاية، وسرت، وجبل نفوسة (الحميري، 1984م: 81، 312، 578)، وفي تلمسان تينٌ شديد الحلاوة أسودّ اللون يجفّف ليؤكل شتاءً (الوزان، 1983م: 20/2). ووُصف تين جبل درن في المغرب الأقصى بالمتناهي في الطّيب، البالغ في الحلاوة (الحميري، 1984م: 235). وكثُرَت أشجار التوت بالمغرب الأدنى في كلّ من سرت وقابس، واشتهرت الأخيرة بأشجار الموز "وليس بإفريقيّة موزٌ إلا فيها" (الحميري، 1984م: 312، 451).

خ. اللوزيات: اشتهرت عديدٌ من مدن بلاد المغرب بزراعة اللوزيات، كاللوز والجوز والفسق والشمش؛ ففي بلاد المغرب الأدنى زُرِع اللوز في أراضي مدينة قفصة، وأشاد الحميريُّ بكثرة وجودته، حيث قال: "لا يوجد مثله في بلد" (الحميري، 1984م: 478)، وفي المغرب الأقصى وُجِد اللوز بجبل درن (الحميري، 1984م: 235). وأما أشجار الجوز فقد زُرعت في المغرب الأوسط، وبخاصّة في أراضي كلّ من تلمسان (الحميري، 1984م: 135)، وسطيف الواقعة على بعد مرحلةٍ من ميلة، وستين ميلة جنوب بجاية (الحميري، 1984م: 318، الوزان، 1983م: 52/2)، وكذلك في نقواس الواقعة على بُعد أربع مراحل من المسيلة ومرحلتين من بسكرة (الحميري، 1984م: 579)، وأخيراً زُرِع الجوز في المغرب الأقصى في جبل درن والسّوس (الحميري، 1984م: 235، 329).

واشتهرت قفصة بكثرة أشجار الفستق، فكانت "أكثر البلاد فستقًا، وليس بأفريقيّة فستقٌ إلا فيها، ومنها يُجلب إلى بلاد أفريقيّة وبلاد المغرب والأندلس ومصر، والذي يُجلب من بلاد الشام صغير الجُرم ليس مثل القفصيّ، فإنّ القفصيّ يكاد يكون في جُرم اللوز، وهو إذا كان في شجرته أجمل شيء، فإنّه يكون عناقيد مثل عناقيد العنب، وهو ذكيُّ الرّائحة، لا يقدر أحد أن يسرق منه شيئاً؛ لأنّه تنمُّ عليه رائحته" (الحميري، 1984م: 478). وعلى الرّغم من إشادة القلقشندي بشمش مستغانم قائلاً إنّه يقارب في الحُسن شمش دمشق (القلقشندي، 1910م: 150/5)، إلا أنّ الحميري جعل زراعته محصورة في بلاد المغرب الأقصى، في جبال درن والسّوس دون غيرهما (الحميري، 1984م: 235، 330).

المطلب الثالث: الثروة الحيوانية والطيور:

أشار الرّوض المعطار إلى غنى بلاد المغرب بالثروة الحيوانية؛ وذكر في المغرب الأدنى مدينة برقة قائلاً: على بعد ستّة أميال من برقة يوجد جبلٌ غنيٌّ بالماشية، كبيرة الحجم ولذيذة اللحم (الحميري، 1984م: 91)، وفي زويلة المهدية أعدادٌ كبيرةٌ من المواشي والأغنام والأبقار (الحميري، 1984م: 296). ولم تنم الإشارة إلى غير هذين الموضعين. وأما في المغرب الأوسط، فتميّزت مدينة بونة بكثرة البقر التي "يصحُّ بها السّودان ويسمى البيضان" (الحميري، 1984م: 115)، واشتملت عديدٌ من المواقع الأخرى على المواشي والأغنام والأبقار؛ كتاهرت (الحميري، 1984م: 126)، ودلس الساحلية الواقعة بين بجاية والجزائر، وعلى بعد أربعة وعشرين ميلةً من مرسى النّجاج (الحميري، 1984م: 132)، وكذلك الجزائر، وجيجل، وشرشال، ووهران (الحميري، 1984م: 163، 184، 340، 613). وفي المغرب الأقصى اشتهرت بها أنكال وأودغشت ونول لمطة⁽⁶¹⁾ (الحميري، 1984م: 35، 63، 584)، وعُرف عن لحوم الأغنام في جبل فازار بأنّها أطيب اللحوم (الحميري، 1984م: 435). وعُدّت مراعي وجدة الأصلح للسانمة، واشتملت الشاة من شياهم على مانتي أوقيّة من الشّحم (الحميري، 1984م: 607).

واشتهرت بلاد المغرب الأقصى أكثر من غيرها بالإبل، وبخاصّة في نول لمطة، الذين "لا يعرفون الحرث ولا الزّرع ولا الخبز، وإنما لهم الأنعام الكثيرة، فعيثهم من لبنها ولحمها، فهم يجفّفون اللحم ويطبخونه ويصّبون عليه الشّحم المُذاب أو السّمن، ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء، فيبقى الرّجل منهم الأشهر لا يشرب ماءً ولا يأكل خبزاً" (الحميري، 1984م: 584)، وانتشرت الإبل أيضاً في أودغشت

(59) - عدوة القرويين: تمثّل القسم الشرقي من مدينة فاس، وبنيت عام 193هـ/809م خلال عهد إدريس بن إدريس بن عبد الله (177-213هـ/793-828م)، وهي أكثر عيوناً وبساتين وأشجاراً من عدوة الأندلسيين، التي كان قد بناها في الجهة الغربية في العام السابق (القلقشندي، 1910م: 154/5).

(60) - نارنج: أبو صفيّر، شجرة صغيرة مترابطة الحمل من فصيلة البرتقاليّات، أشواكها طويلة حادة، وثمرتها كروية متوسطة الحجم، برتقالية اللون، وجوفاء من الوسط، وحامضة الطعم (حايك، 2001م: 239/4).

(61) - نول لمطة: من بلاد السّوس الأقصى بالمغرب، بينها وبين وادي السّوس ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام (الحميري، 1984م: 584).

(الجميري، 1984م: 63). وأما خيول جبل فازار فهي "من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها، وهي مدوّرة القنود حسنة الخلق والأخلاق" (الجميري، 1984م: 435).

وشاعت تربية النحل ببلاد المغرب الأدنى؛ بهدف إنتاج العسل، وبخاصّة في بونة وجولاء⁽⁶²⁾، بسبب كثرة رباحينها وأزهارها (الجميري، 1984م: 115، 168). وفي المغرب الأوسط وُجد بكثرة في كلٍّ من تاهرت، والجزائر، وشرشال، وهران (الجميري، 1984م: 126، 163، 340، 613). وفي بلاد المغرب الأقصى لم يُسر الرّوض المعطار سوى إلى بلاد السّوس (الجميري، 1984م: 330).

وأما بخصوص الطيور، ففي غربيّ مدينة بونة في المغرب الأدنى "بركة في دورها نحو عشرة أميال فيها طائرٌ يُعرف بالككيل، وهو يعيش على وجه الماء ويفرّخ، وهو طائرٌ حسنٌ، وهو الذي يسمّى بمصر الغطّاس" (الجميري، 1984م: 115). وبأنكال في المغرب الأقصى مرجٌ واسعٌ تعيش فيه طيور النعام بكثرة، وكان أهل تلك النواحي يصيدونها من خلال مطارقتها بالخيول، للاستفادة من لحومها وبيوضها (الجميري، 1984م: 35).

المطلب الرابع: الثروة السمكية والمرجان والعنبر:

عُرفت عديدٌ من المواقع على سواحل المغرب الأدنى بغناها بالثروة السمكية؛ ومن أولها بنزرت، وبحيرتها المعروفة بها، والتي يبلغ طولها سبعة عشر ميلاً وعرضها ثمانية أميال، وهي متصلة بالبحر، وكلما أخذت في البر اتسعت، وفي هذه البحيرة اثنا عشر نوعاً من السمك يؤخذ منه في كلّ شهر نوعٌ لا يمتزج بغيره من أصناف السمك، فإذا تمّ الشّهر جاء صنفٌ آخر وفقد الأول، وهكذا في كلّ شهر (الجميري، 1984م: 104). وبسواحل تونس عديدٌ من أصناف الحوت، لذيق الطعم، وفيه صنفٌ يُقال له البقونس، ومن أمثالهم: "الولا البقونس لم يخالف أهل تونس" (الجميري، 1984م: 144).

وعُرفت سواحل صفاقس بغناها بالأسماك⁽⁶³⁾ (الجميري، 1984م: 365)، وبخاصّة النوع الذي يحمل اسم سباريس (الوزان، 1983م: 87/2)، وهو من فصيلة الأسبوريات، ويُقال له حفارة، وهو يُشبه المرجان (المعلوف، د. ت: 181، 217). وفي بحر صفاقس صدفٌ يشتمل على لؤلؤٍ صغير الحَبّ (التجاني، 1981م: 68). وبين طبرقة ومدينة باجة بحيرةٌ عظيمةٌ دورها أربعون ميلاً متصلة بالبحر، فيها أنواعٌ من الحوت، وبها سمكٌ البوريّ الذي لا نظير له، يزن الكبير منه عشرة أرتال وأزيد (الجميري، 1984م: 387)، ويُقال لهذا النوع "بياح"، وهو سمكٌ بحريٌّ كبير الحراشف، وسمي بهذا الاسم نسبةً إلى منطقة اسمها بورة في مصر (المعلوف، د. ت: 163-164).

ومن مواقع سواحل المغرب الأوسط التي اشتهرت بغناها بالثروة السمكية مدينة بونة، وبغربيها بركة في دورها نحو عشرة أميال فيها سمكٌ كثير (الجميري، 1984م: 115)، وتميّزت سواحل مدينة جبل هي الأخرى بكثرة أسماكها (الجميري، 1984م: 184). وبأراضي مدينة المسيلة "ماءٌ كثيرٌ منبسّط على وجه الأرض، عذبٌ، وفيه سمكٌ، وفيه طرق حمر لم يُر في الدنيا سمكٌ على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، قدره من الثبير فما دونه" (الجميري، 1984م: 558).

وفي جهة أصيلا على سواحل المغرب الأقصى تقع مدينة تشومس، وبقيها بحيرة كبيرة تُسمّى أمسنا يصبُّ فيها ماء البحر، يُتصّد فيها أنواع السمك (الجميري، 1984م: 141). وفي وادي سبو يُتصّد سمك الشّابل⁽⁶⁴⁾ الكبير، ويدخل فيه أيضاً الحوت الكبير (الجميري، 1984م: 606؛ الوزان، 1983م: 249/2). وبسببته مصايد للحوت، ويصطاد بها منه نحو مائة نوع، وبخاصّة التنن زرقاً بالرّماح وفي أسنتها أجنحةٌ تنبّت في الحوت ولا تخرج، وفي أطراف عصيها شرائط القنّب الطّوال (الجميري، 1984م: 303؛ القلقشندي، 1910م: 158/5). وفي وادي سلا أنواعٌ من السمك كالشّابل وضروبٌ من الحيتان، ولا يُباع بها ولا يُسترى لكثرتة وجودته (الجميري، 1984م: 319)، وذكر الرّوض المعطار أن "أكثر معاش أهل نول لمطة من لحوم السّلاحف، وهي أكثر شيء في ذلك الموضع، وهي مفرطة العظم، وربما دخل الرّجل في محار ظهورها يصيد في البحر كالقارب" (الجميري، 1984م: 584)، وهو بالطبع أمرٌ مبالغ فيه من جانب الجميري.

وتعتبر سواحل طبرقة في المغرب الأدنى من المواقع المنتجة للمرجان، "ومنها يُحمّل إلى جميع بلاد الدنيا، وهناك قومٌ لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر، وهو نبات شجر له أعصان. ويقال إنّه في قعر البحر ليين رطب، فإذا مسّه الهواء اشتدّ ويخرج منه في ذلك البحر مئون من قناطر في كلّ سنة، وهو أنفس مرجان في الدنيا" (الجميري، 1984م: 386)، وفي المغرب الأوسط تشتهر به سواحل مدينة الخرز، "وهو أجل مرجان يوجد بسائر الأقطار، وهو ينبت كالشّجر في البحر، يُدار عليه القنّب، فتلتف الخيوط على ما قاربها ويستخرجون منه الشّيء الكثير" (الجميري، 1984م: 538)، وأضاف القلقشندي أن مرجان سواحل الخرز يُعدُّ من أنفس أنواع المرجان، وهو أفضل من مرجان بونة (القلقشندي، 1910م: 106/5). كما عُرف استخراجها في بلاد المغرب الأقصى؛ وبخاصّة في سبته وقرها الساحليّة كقرية بليونش (الجميري، 1984م: 303، 386-387).

(62). جولاء: مدينة بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً (الحموي، 1977م: 156/2).

(63). يذكر التجاني أنّه يوجد في بحر صفاقس صوف البحر الذي يُعمل منه الثياب الملوكيّة الرّفيعة (التجاني، 1981م: 68)، وقيل: "ومن بحرها يُستخرج الصّوف المعروف عند العامّة بصوف السمك المتخذ منه الثياب النفيسة" (القلقشندي، 1910م: 104/5).

(64). الشّابل: سمكٌ بحريٌّ يصل حجمه إلى طول ذراع، حسن اللحم، سمين ولذيذ الطعم (المعلوف، د. ت: 68)، وربما يقدر هذا النوع على العيش في البحيرات العذبة والأنهار، حسبما يتبيّن من الرّوض المعطار.

وعدّ العنبر⁽⁶⁵⁾ من الثروات البحرية في بلاد المغرب، واشتهرت به بالمغرب الأدنى مدينة الأريس، التي سميت ببلد العنبر؛ لكثرة إنتاجه فيها (الجميري، 1984م: 24)، ووجد أيضاً في المنطقة الواقعة بين نول لمطة ووليلي⁽⁶⁶⁾ في بلاد المغرب الأقصى (الجميري، 1984م: 584).

المبحث الثاني

المعادن الطبيعية والصناعات المحلية

المطلب الأول: المعادن الطبيعية:

لم يكن الذهب متوقفاً في بلاد المغرب على نطاق واسع مقارنة مع المعادن الأخرى، إلا أنّ بلاد المغرب الأقصى قد اشتهرت به دون غيرها (حسن، 1980م: 259)، إلى جانب الفضة والنحاس، فأما الذهب فوجد في أودغشت، وهو "أطيب ذهب الأرض وأصحّه" (الجميري، 1984م: 64)، واختصت تامدلت بمعادن الفضة، لكثرتها بها (الجميري، 1984م: 128)، وبمدينة داي "معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس في أقطار الأرض، ولونه إلى البياض، ويدخل في لحام الفضة" (الجميري، 1984م: 231). ويحمل النحاس الأصفر⁽⁶⁷⁾ من مدينة فاس إلى جميع الأفاق (الجميري، 1984م: 435). ووجد معدن الحديد في المغرب الأدنى في الأريس (الجميري، 1984م: 24)، وفي بجاية معدن "الحديد الطيب اللازم لصناعة السفن" (الجميري، 1984م: 81). وفي المغرب الأوسط وجد الحديد والرّزنيق في جبل على بعد أربعين ميلاً من وهران (الجميري، 1984م: 28)، وكذلك في جبل زغوغ (يدوغ) عند مدينة بونة (الجميري، 1984م: 617).

وأما العقيق، وهو من الأحجار الكريمة، فوجد في الصحراء الواقعة بين أركلان وغدامس، وتقدّر المسافة بينهما بنحو عشرين يوماً، ويأخذ العقيق شكل الحجارة، وربما كان في الحجر الواحد منها ألوان من الحمرة والصفرة والبياض، وهو عندهم أجل من البياقوت⁽⁶⁸⁾، وهو كالبياقوت لا يعمل فيه الحديد، إنّما يُثقب بحجر آخر" (الجميري، 1984م: 600)، وتتمّ معالجة العقيق الخام بالنار والطرق أيضاً (البيروني، 1995م: 281). وفي الصحراء المذكورة وجد معدن الشّب⁽⁶⁹⁾ (الجميري، 1984م: 600). ومن ناحية أخرى، ففي طنجة "رخام كثيرٌ وحجرٌ منحوتٌ جليل" (الجميري، 1984م: 396).

ومن المعادن الطبيعية مادة الملح، الذي كان يستخرج من المناجم عن طريق حفر السرايب الأرضية، ومنه الرمادي والأبيض والأحمر⁽⁷⁰⁾ (الوزان، 1983م: 280/2)، ووجد في المغرب الأوسط في جبال بسكرة، "وبها جبل ملح يُقطع منه كالصخر"، وكان الناس يستعملونه في أطعمتهم (الجميري، 1984م: 114). وفي المغرب الأقصى اشتهرت به مدينة أوليل الواقعة على بعد ستّ عشرة مرحلة من مدينة سلا (الجميري، 1984م: 64)، وكذلك نول لمطة، "ومن عجائب صحراء بلاد السوس أنّ بها معدن ملح تُحفر عنه الأرض كما تُحفر عن سائر المعادن، ويوجد الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض، فيقطع كما تُقطع الحجارة، وعلى هذا المعدن حصن مبنيّ بالحجارة المخرجة من المعدن، وجميع ما فيه من بيوتٍ وغرفٍ ومسالكٍ إنّما هو مبنيّ بحجارة الملح" (الجميري، 1984م: 584).

المطلب الثاني: الصناعات المحلية:

أ: الصناعات النسيجية: النسيج والحياسة هو إلحام الغزل حتى يصير قماش الصوف أو الكتان أو الحرير ثوباً واحداً، وكأما حقّق الوقاية من البرد والحرّ كان أجود (ابن خلدون، 2001م: 516). في بلاد المغرب الأدنى وجد القماش الأفريقي "من القطن والكتان معاً ومن الكتان وحده، وهو أمتع من النصابي البغدادي وأحسن، ومنه جلّ كساوي أهل المغرب"، وصنع بتلمسان قماش من الصوف أو الحرير عرف بالتلمساني (القلقشندي، 1910م: 102/5، 142). وبشكل عام، الكساء هو الثوب الذي يلفّ به الجسد بإحكام، ووفقه الإزار (الوزان، 1983م: 97/1). واشتهرت مدينة درجين الواقعة قرب نفطة⁽⁷¹⁾ بصنع الكساء الدرجيني، الذي يشبه الكساء السجلماسي في نوع القماش واللون، لكنّه دونه في الجودة (الجميري، 1984م: 236). وفي وجدة صنعت من صوف الأغنام أكسية ليس لها نظير في الجودة (الجميري، 1984م: 607). واختصت مدينة سوسة⁽⁷²⁾ بجودة حوك الثياب الرقاق، فضلاً عن جميع أشغال الثياب الرفيعة التي لا يُصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة، كما تُنسب إليها الثياب السوسية الرقيقة، ويُقال لها البياض، ومن الطريف أنّ بالصين مدينة اسمها سوسة مشهورة بعمل الحرير الرفيع القيمة المُحكّم الصنعة (الجميري، 1984م: 331).

(65). العنبر: يُخرجه أحد أنواع السمك الكبير، وبخاصّة في نواحي مدينة ماسة، وعنبرها نفيس كان يُباع بثمان بخص للبرتغاليين (الوزان، 1983م: 114-115؛ عبد الحميد، د. ت: 515).

(66). وليلي: تقع بين مكناس وفاس عند جبل زرهون (الحموي، 1977م: 384/5؛ الوزان، 1983م: 295/1).

(67). تحويل النحاس الأحمر إلى أصفر كان يتمّ بمعالجته بمعادن الثوتيا الذي كان موجوداً بكثرة في منطقة السوس (حسن، 1980م: 259).

(68). البياقوت: من الكلمة الفارسية ياكند، ويلقبه الفرس بدافع الطاعون، وله ألوان أفضله الأحمر (البيروني، 1995م: 107).

(69). الشّب: يستخدم في معالجة بعض أنواع الجواهر والمعادن الثمينة؛ من خلال الخلط مع الماء والغلي في قدر نحاسي (البيروني، 1995م: 343).

(70). كانت مناجم الملح تقع في أوليل على ساحل الأطلسي، على سمت أودغشت، وكذلك في موضع على بعد يومين من المجاية الكبرى في الصحراء (عبد الحميد، د. ت: 513).

(71). نفطة: مدينة بالقرب سوف في البلاد الجريدية (الجميري، 1984م: 333).

(72). سوسة: مدينة جبلية ساحلية مسوّرة على المتوسط، وتقع على بعد ثمانية عشر ميلاً من حصن إهرقلية (الجميري، 1984م: 331؛ التجاني، 1981م: 25).

ولما كانت قابس تزخرُ بشجر النَّوت، فقد حرص أهلها على تربية دودة القز، لإنتاج الحرير، "وحريرها أطيب الحرير وأرقه، وليس يعمل بإفريقيّة حرير إلا بها" (الجميري، 1984م: 451). وتُصنع بقفصة أريديّة وطيبالسّة⁽⁷³⁾ وعامام⁽⁷⁴⁾ من صوفٍ في غاية الرّقّة (الجميري، 1984م: 478). وفي المهديّة تُعمل الثّيَاب الرّفيعة الجيدة (الجميري، 1984م: 562). وفي المغرب الأوسط اختصّت قلعة بني حماد بصنع "أكسية ليس لها مثل في الجودة والرّقّة إلا الوجدية التي تُصنع بوجدة"، ويساوي الكساء الذي يُصنع بها ثلاثين ديناراً أو أزيد (الجميري، 1984م: 470).

وفي المغرب الأقصى "وجد بوادي درعة حجارة تسمى تامطغيت، تحكُّ باليد فتلين إلى أن تأتي في قوام الكتان فتُصنع منها القيود للدواب والإمرّة، وتُغزل ويُسج منها مناديل، ولا تؤثر فيها النار" (الجميري، 1984م: 236). وصُنِع بمدينة السّوس "من الخزّ⁽⁷⁵⁾ العتيق كلّ جليبة"، وكذلك الملابس الصّوفيّة، كما صنع أهلها "الأكسية الرّفاق ومن الثّيَاب ما لا يقدر أحد على عمله، وفي نسانهم جمالٌ فائقٌ وحسنٌ بارعٌ وحذقٌ بصناعات أيديهن" (الجميري، 1984م: 329-330).

ب. الصناعات الجلديّة: ازدهرت هذه الصناعات في بلاد المغرب بسبب غناها بالثروة الحيوانية، فضلاً عن جلود الحيوانات التي كانت تأتيها من بلاد السودان (القيسي والسويدي، 2017م: 675). ومن الصناعات الجلديّة التي راجت في بلاد المغرب الأدنى: الدباغة، وكانت لها دورٌ مخصّصة، كذلك الموجودة في برقة، حيث كانت تُدبغ فيها جلود البقر والثمور الواصلة إليها من أوجلة (الجميري، 1984م: 91)، وفي سوف كان يُصاّد الفنك⁽⁷⁶⁾ "الذي لا يوجد لجلده نظيرٌ في الدنيا" وذلك من أجل استخدامه في الصناعات الجلديّة (الجميري، 1984م: 333)، ويُنسب إلى قفصة جلد الأروى، المتخذ منه النّصال الشديدة الليونة (الفلقشندي، 1910م: 107/5)، والأروى هو نوعٌ من الكباش الجبلية الصّخرية (المعلوف، د. ت: 21، 34). ويُنسب الجلد الغدامسي إلى مدينة غدامس (الجميري، 1984م: 427). وبوادي درعة في المغرب الأقصى وُجد شجر التاكوت، وهو شجرٌ يشبه الطّرفاء، وبه كان يُدبغ الجلد الغدامسي (الجميري، 1984م: 235-236).

واشتهرت مدينة نول لمطة من بلاد السّوس الأقصى باللمط⁽⁷⁷⁾، الذي تُعمل من جلوده الدُرُق، فلا شيء أبعد منها ولا أصلب، وبها كان يقاتل أهل المغرب لحصانها وخفة حملها (الجميري، 1984م: 584). واللمط هو "دابةٌ دون البقر، لها قرونٌ رفاقٌ حادّةٌ تكون لذكرانها وإناتها، وكلّما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتّى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدُرُق وأغلاها ثمناً ما عُمل من جلود الإناث المسنّات التي قد طالت قرونها لكبر سنّها" (الجميري، 1984م: 584)، وهذه الدُرُق مع خفتها ولينها فإنّه لا ينفث إليها النّشاب ولا يؤثّر فيها السيف، وهي أحسن من الثّرس (حسن، 1980م: 260). كما كثر في نول لمطة حيوان الفنك، وكان أهلها يستخرجون منه الجلود، وعندهم أيضاً الكباش الثمانيّة، وهي على خلقة الصّان، إلا أنّها أعظم وشعرها كعشعر الماعز، ولا صوف عليها، وهي من أحسن الغنم خلقاً وألواناً. وصُنعت في نول لمطة السّرج وأقتاب⁽⁷⁸⁾ الإبل، والأكسية السّفسارية⁽⁷⁹⁾ والبرانس⁽⁸⁰⁾ (الجميري، 1984م: 584)، وأضاف آخرون أنّ القيروان قد اشتهرت بصناعة السّرج، وعُرفت بالسّرج القيروانيّة (القيسي والسويدي، 2017م: 677).

ت. الصناعات المعدنية والزجاجية: لم يتطرق الرّوض المعطار إلى صناعات معدنيّة في المغربين الأدنى والأوسط، واقتصر هذا الأمر على الأقصى، الذي اشتهرت فيه صناعة سنك النّحاس في كلّ من إيكلي والسّوس (الجميري، 1984م: 71، 330)، وعلى صعيد آخر؛ راج في قفصة بالمغرب الأدنى صنع "أواني للماء من خزف⁽⁸¹⁾ تُعرف بالرّيحية، شديدة البياض، في نهاية من الرّقّة، ليس يُعلم لها نظيرٌ في جميع البلاد، ويُصنع بها زجاج⁽⁸²⁾ حسنٌ وأواني مذهّبة غريبة" (الجميري، 1984م: 478)، وخُصّص في سبتة بالمغرب الأقصى حيٌّ لتنظيف المرجان وتصنيعه وحبكه وتقبه (الجميري، 1984م: 303).

ث. صناعة السّفن: انتشرت دور صناعة السّفن على سواحل بلاد المغرب؛ ومن الأمثلة على ذلك دار الصّناعة في مرسى بجاية، بسبب توفّر الخشب في أوديتها وجبالها، فضلاً عن الرّيت والقطران والحديد، ولهذا غصّ مرساها بالسّفن والمراكب، وصُنعت السّفن أيضاً في مرسى تونس (الجميري، 1984م: 81، 142).

ج. الصناعات الغذائيّة: لا يشتمل الرّوض على معلومات كثيرة حول الصناعات الغذائيّة، واقتصر على ذكر منتجات الألبان والسّمّن في عديد من المواضع. ومن ناحية أخرى أفاد حول قيام قفصة باستخراج ماء الورد من الرّياحين، وفي السّيّاق ذاته وصف الجميريّ وردّها بأنّ

(73) طيلسان: وشاخ صوفي له أهداب، يوضع على الرأس أو يتّم ارتداؤه (الفلقشندي، 1910م: 142/5).

(74) عمامة: غطاء الرأس، وتُصنع من الكتان، وتُلف مرتين فوق القلنسوة، وتمرّ تحت الدّفن، ويُعمل فوق العمامة إحرامات تُلف على الأكتاف (الفلقشندي، 1910م: 203/5؛ الورّان، 1983م: 251/1-252).

(75) خزّ: يتكوّن من الصّوف والحرير، ولونه لون الخضرة والسّواد (الجوزي)، وقد يكون من حيوان بحريّ (الفلقشندي، 1910م: 142/5).

(76) فنك: يُسمّى أيضاً فنج وأبو صوف، من فصيلة السّنائير، وهو ثعلبٌ صغيرٌ ناعم الشّعر، أغبر اللون، كبير الأذنين (المعلوف، د. ت: 106).

(77) اللمط: يسميه الورّان اللمت، ويضيف إلى صفاته المذكورة أنّ لون جلده يميل إلى البياض، إلا أنّ أظلاله شديدة السّواد، وهو سريع الجري، ويُصطاد بسهولة في الصّيْف؛ لأنّه يفقد أظلاله، بسبب حرارة رمل الصّحراء، ما يؤثر على سرعة عدوه حتّى يمنعه الألم من العدو، وثياع الثّروس التي تُصنع من جلده بأسعار باهظة (الورّان، 1983م: 263/2).

(78) اقتاب: مفرداها قَتَب، وهو الرّجل ما استدار من البطن (الفيروز آبادي، 1301هـ: 113/1).

(79) الأكسية السّفسارية: تُصنع من قماش يُسمّى السّفساري، يُعمل من حرير وقطن أو حرير وصوف (الفلقشندي، 1910م: 142/5).

(80) برنّس: لباسٌ صوفيّ يغطي الجسم، بدون أكمام، وعادة ما يكون أبيض اللون، ويُلبس فوق العباءة (الفلقشندي، 1910م: 204/5؛ الورّان، 1983م: 251/1).

(81) خزف: أواني وأشكال فخاريّة مطلية بطلاء زجاجيّ مذهب شفاف، على شكل رسومات ملوّنة (الجندي، 2017م: 189)، وكانت صناعته بالمغرب قد تأثرت بالتقاليد العرّاقية (سالم، د. ت: 324)، المستمّدة بدورها من الثّقافة التّركية والفارسيّة (الجندي، 2017م: 188).

(82) يذكر الفلّقشندي أنّ طرّة اشتهرت بصناعة الرّجاج الصّافي (الفلّقشندي، 1910م: 108/5). وفي القيروان وُجد حيٌّ خاصٌّ بالرّجاجين (سالم، د. ت: 323).

أكثره الأبيض، وماؤه أذكى ماء يكون للورد، يشبه الجوري الذي يُجلب من مصر (الحميري، 1984م: 478). واستخرج أهالي طبرقة بالمغرب الأدنى دهن الحوت لمعالجته واستخدامه في مختلف المجالات الغذائية (الحميري، 1984م: 487)، وصنع أهل جيجل في المغرب الأوسط رُبّ العنب (الحميري، 1984م: 184).

وفي مدينة السّوس في المغرب الأقصى نشط الأهالي في تصنيع السُّكَّر من قصبه بكميات كبيرة وبجودة عالية، فوصفت ببلاد السُّكَّر، وصنعوا نوعاً من الخمور سمّي لديهم بأنريز، وهو خمّر حلّو يسكر سكرًا عظيماً، ويفعل بشاربه ما لا تفعله الخمر لمئاته وغلظ مزاجه، وهم يرونه حلالاً ما لم يتعدّ به حدّ السُّكَّر (الحميري، 1984م: 329). وفي مراكش أربعون معصرة للسُّكَّر، وإنّ جمل حمار من القصب يساوي درهماً من دراهمهم، ويُعمل منه المكرّر الفائق، ومع ذلك ليس لهم به اهتمام؛ لاكتفائهم عنه بعسل النحل مع كثرته عندهم، وميلهم إليه، حتّى يقال أنّ السُّكَّر لا يُستعمل عندهم إلا للغرباء (القلمشندي، 1910م: 176/5). وبالسّوس أيضاً عسلٌ يفوق عسل جميع الأمصار، ويُلقى البلديون على الكيل منه خمسة عشر كيبلاً وحينئذ يتأتى نبيذاً، فإن كان الماء أقلّ من ذلك بقي حلوّاً ولا ينحلّ إلا بالماء الشّديد الحرارة، ولونه أخضر في لون الزمرّد (الحميري، 1984م: 330).

ومن الصناعات الغذائية طحن الحبوب بالأرحاء المائية، والرّحى هو أداة طحن القمح والشّعير والحبوب بواسطة قوّة دفع الماء⁽⁸³⁾، ووجدت الأرحاء في المغرب الأدنى في كلّ من سببية وقفصة (الحميري، 1984م: 304، 478)، وفي المغرب الأوسط في أفكان (الحميري، 1984م: 51)، وعلى نهر سطفيسف بالقرب من تلمسان ومليانة (الحميري، 1984م: 135، 547)، وفي مستغانم على نهر شلف، وفي وهران (الحميري، 1984م: 558، 612). وانتشرت الأرحاء في تامدلت ومكناسة الزّيتون (الحميري، 1984م: 128، 544). ووجد داخل أسوار فاس ثلاثمائة وستين رحي، سوى أربعمائة خارج السور (الحميري، 1984م: 434؛ الوزان، 1983م: 233/1). وأخيراً أغامت، التي اشتهرت هي الأخرى بكثرة أرحائها (الحميري، 1984م: 46).

ويدلّ تعدّد الأرحاء في عموم مدن بلاد المغرب على انتشار هذه الصنّاعة وازدهارها، كما إنّ ذلك يُشير بوضوح إلى كثرة الحبوب بأنواعها المختلفة.

ح. الصناعات العلاجية: عدّت هذه الصناعات ضرورية لاستمرار الجنس البشري؛ لحفظ الصّحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة، حتّى يحصل لهم البرء من أمراضهم (ابن خلدون، 2001م: 520). وتطرّق صاحب الرّوض إلى عديد من المواقع التي وُجدت فيها أعشابٌ استُخدمت في المجال المذكور، ومنها مدينتا بجاية وبرقة في المغرب الأدنى. ففي الجهة الشماليّة من بجاية جبلٌ يُسمّى امسيبول وهو جبلٌ عالٍ صعب المرتقى، وفي أكنافه عديدٌ من أنواع النباتات التي كان يُنتفع بها في صناعة الطّب مثل البرباريس⁽⁸⁴⁾ والقنطاريون⁽⁸⁵⁾ والراوند⁽⁸⁶⁾ وغيرها (الحميري، 1984م: 80-81)، وأمّا برقة، ففي أراضيها تربةٌ يتداوى النّاس بها بعد خلطها مع الرّيت للجرب والحكّة، ولها رائحةٌ كريهةٌ كرائحة الكبريت (الحميري، 1984م: 91).

وانتشرت الصناعات العلاجية في المغرب الأقصى في عديد من المواقع، كمدينة أنكال التي استخدم أهلها شحوم النعام لمعالجة الصّم تقطيراً، وللندأوي من مختلف الأوجاع البدنية (الحميري، 1984م: 36). وفي مدينة السّوس الأقصى كان يُصنّع زيتٌ يسمّى اليرجان، يُستخرج من شجرة شوكية تشبه ثمرتها الكمثرى، حيث كانت تُجمع وتترك حتّى تذبل ثمّ توضع في مقلاة فخار على النّار لاستخراج دهنها، وطعمه يشبه طعم القمح المقلّي، وهو حينئذٍ محمودٌ في معالجة أمراض الكلى، وفي إدرار البول (الحميري، 1984م: 330). ومن أجل سلامة شعر الرّأس حرص أهل السّوس على غسله بالحناء⁽⁸⁷⁾ في كل جمعة مرّتين برقيق البيض والطين (الحميري، 1984م: 330). وبجبل فازار نباتات معيّنة كان يُستخرج منها أنواعٌ من العقاقير الدوائية (الحميري، 1984م: 435)، وكذلك في مراكش، حيث يوجد شجرٌ يدعى أرقان، ودهنه كان يُستخدم مرّهماً (الحميري، 1984م: 541).

المبحث الثالث

الحركة التجارية

اهتمّ الرّوض المعطار بتناول الأوضاع التجارية في بلاد المغرب، فتحدّث عن أسواقها وموانئها وصادراتها ووارداتها ومظاهر ازدهارها التجاري والاقتصادي.

(83). للاطلاع على نماذج من الأرحاء المائية في بلاد المغرب؛ يُنظر: (بوزاد، 2019م: 105-120).

(84). برباريس: نبات من فصيلة البربريسيات، فروعه ليفيّة تعلو من 15-50سم، ساقه منتصبية تحمل أشواكاً قوية، وتصل طول ورقته إلى 5سم، وكل زهرة عبارة عن ستّ كأسيات بتلانية، وثمره عنديّ أبيض، يُستخدم لعلاج البرقان والحميات، وتُستخرج منه مادةٌ لصباغة المنسوجات (حايك، 2001م: 34-35؛ نخال، 2009م: 25).

(85). قنطاريون: من الفصيلة الأزدارخنيّة، وهو من النباتات الطبيّة، ورائحة خشب أشجاره تشبه رائحة خشب الأرز (نخال، 2009م: 37).

(86). راوند: من نباتات فصيلة البطباطيات، يسمّيها العرب الرّيباس نقلاً عن الفارسيّة، وتنبث في المناطق الجبلية الساحلية الباردة، وأزهارها خنثويّة لها ستّ كأسيات، وأوراقها مستديرة تقريباً، وهي من الأعشاب الطبيّة المعيرة، تقيّد في حالات الطّمث، ومنتبّطة (نخال، 2009م: 146؛ حايك، 2001م: 98-99).

(87). الحناء: شجيرة معمرة من فصيلة الحنائيات، ساقها وأغصانها زغبية اللحاء، وأزهارها (تمر حنّة) صغيرة بيضاء تنتج الحناء، وتُستخدم في صباغة الشّعر وتخضيب الأيدي والأقدام، وتلوين الصّوف والحريير والخشب (حايك، 2001م: 72/3). وعدّت أراضي مدينة درعة في بلاد السّوس من أكثر المواضع ثراءً بشجيرات الحناء، الذي يكثر هناك حتّى يصير كالشّجر، ويأخذ السّكان بذوره؛ بهدف زراعته في مواضع أخرى (الحميري، 1984م: 235).

المطلب الأول: الأسواق والموانئ:

تعددت الأسواق وما اشتملت عليه من الفنادق والحمامات⁽⁸⁸⁾ في معظم مدن بلاد المغرب، وفيها كانت تنتم أعمال العرض والبيع والشراء. ففي المغرب الأدنى وجدت الأسواق الحافلة في أجدابية التي عُرف أهلها بالثراء، وكذلك في باغاية، وبنزرت، وتماجر (الجميري، 1984م: 12، 76، 104، 136). وكان لمدينة ريغة الواقعة بقرب مليانة وجبل ونشريس سوق في كل يوم جمعة يُقصد من مختلف الجهات (الجميري، 1984م: 280)، ووجدت الأسواق والحمامات والخانات في ربض زويلة بالمهدية، وفي سوسة، وطرابلس، والقصر القديم عند القيروان، وكذلك في لبدية ونفزاوة (الجميري، 1984م: 296، 331، 389، 476، 508، 561، 578).

وفي المغرب الأوسط شاعت الأسواق في بلزمة (الجميري، 1984م: 103) وتاهرت، التي كان فيها أيضاً حمامات كثيرة بلغت اثنا عشر (الجميري، 1984م: 126-127)، وفي تنس، وحسن نيكلات المطل على وادي بجاية، والجزائر، وماكسن، ومازونة⁽⁸⁹⁾، ومليانة، ومستغانم، والمسيلة التي ضمت حمامات أيضاً، وميلة وحماماتها، وكذلك نفاوس (الجميري، 1984م: 138، 147، 163، 331، 521، 547، 558، 569، 579).

وانتشرت الأسواق في مدن المغرب الأقصى، كأصيلا، التي كان لها سوق حافل يوم الجمعة (وهو سوق أسبوعي دائم)، وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة، وهو وقت اجتماعهم، وذلك في شهر رمضان وفي عاشوراء وذي الحجة، وكان الموضع مُلكاً للواتة، فابنتي فيه قومٌ منهم واتخذوه سوقاً جامعاً، وتسامع الناس أمرها من الأندلس وأهل الأمصار، فقصدوها في الأوقات المذكورة بضروب السلع (الجميري، 1984م: 42)، ووجدت الأسواق في بادس وتادلي وتامدلت (الجميري، 1984م: 75، 127، 128). وفي درعة أسواق حافلة كثيرة ومتاجر رانجة، ولها يوم الجمعة سوق في مواضع كثيرة، وقديماً كان لها سوقان في يوم واحد في مواضع مختلفة (الجميري، 1984م: 235)، ووجدت أيضاً في زويلة الصحراء (الجميري، 1984م: 295). وفي كل من سلا ومراكش قيساريات⁽⁹⁰⁾ عظيمة وحمامات وفنادق، وانتشرت الأسواق أيضاً في نكور ونفيس (الجميري، 1984م: 319، 541، 577، 578).

ولعبت موانئ بلاد المغرب دوراً رئيساً في الحركة التجارية، وذكر الجميري عديداً من المدن التي اشتملت عليها؛ فعلى المتوسط: اقلبييا الساحلية الواقعة أقصى جزيرة شريك قبلي مدينة تونس، وعلى مقربة من جبل أدار، وكانت السفن تقصد مرسى اقلبييا للميرة، بسبب كثرة خيراتها ومنتجاتها الزراعية (الجميري، 1984م: 52). ومن الموانئ الأخرى: بجاية وبرقة (الجميري، 1984م: 81، 91)، ومرسى بونة الذي يقع في جون من البحر يُسمى جون الأرقاق، وهو صغير ربماً عطبت فيه المراكب (الجميري، 1984م: 115)، ووجدت الموانئ على سواحل تنس والجزائر (الجميري، 1984م: 138، 163)، ومرسى المهديّة المنقور في حجر صلد، ويسع ثلاثين مركباً (الجميري، 1984م: 172).

وكانت المهديّة مقصداً للسفن الواردة من المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها، وإليها تُجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال (الجميري، 1984م: 562). ومنها أيضاً: مرسى رادس، هو مرسى تونس، وهذا الاسم إما للمرسى أو للقرية المطلّة عليه (الجميري، 1984م: 265)⁽⁹¹⁾. فضلاً عن مراسي سبنة وسرت (الجميري، 1984م: 303، 312)، وصفاقس التي وصف الجميري مرساها بأنه "حسن ميث الماء" (الجميري، 1984م: 365)⁽⁹²⁾، وطبرقة وطرابلس (الجميري، 1984م: 386، 389)، وقلشانة الواقعة على بعد اثني عشر ميلاً من القيروان (الجميري، 1984م: 466)، ومرسى الخرز ومرسى النجاج (الجميري، 1984م: 538، 539). ولوهران مرسى كبير للسفن يكن من كل ربح؛ لأنه في جون جبل مطل عليها (الجميري، 1984م: 612).

وأما موانئ بلاد المغرب على المحيط الأطلسي؛ فأصيلا، ولها مرسى مأمون ومقصود على الدوام (الجميري، 1984م: 42). وأقرب الموانئ إلى أغمات هو مرسى بلد ركراكة، "تنزل فيه السفن ولا تخرج إلا بالرياح العاصفة في زمن الشتاء"⁽⁹³⁾ (الجميري، 1984م: 46)، ومرسى أسفي في أقصى المغرب في السوس الأقصى على المحيط الأطلسي (الجميري، 1984م: 57)، ومرسى مدينة تارنانا الساحلية بقرب ندرومة، الذي كان محطاً للسفن ومقصداً لقوافل سجماسة وغيرها، ومرسى تامسامان بقرب بلد نكور من أعمال تلمسان (الجميري، 1984م: 127، 128)، وأخيراً، مرسى سلا (الجميري، 1984م: 319).

المطلب الثاني: مظاهر ازدهار الأوضاع الاقتصادية في بلاد المغرب وتجارها الداخلية:

عُدت القيروان بالمغرب الأدنى من "أعظم مدن المغرب نظراً، وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالاً، وأوسعها أحوالاً، وأربحها تجارة، وأكثرها جبابة" (الجميري، 1984م: 486). واشتهرت تاهرت بتجارها ورواج بضائعها وأسواقها العامرة (الجميري، 1984م: 126) ووصفها الفلقشندي بأنها كانت تُسمى "بغداد المغرب"؛ نظراً لكثرة خيراتها ورفاهية عيش أهلها (الفلقشندي، 1910م: 111/5). وعُرف أهل بجاية برفاهية العيش، وبخاصة أن معظمهم تجار، وذلك بسبب موقعها وجودة مينائها وتجارها البرية والبحرية (الجميري، 1984م: 81). وأما بونة، فكان أكثر أهلها تجار أندلسيون، وقدر مستخلصها غير جبابة بيت المال بعشرين ألف دينار سنوياً (الجميري، 1984م: 115). واشتهرت دلس بزُخص الفاكهة

(88). عن الحمامات في بلاد المغرب ومكوناتها، يُنظر: (الوزان، 1983م: 229/1-231).

(89). مازونة: تقع بالقرب من مستغانم، على بعد ستة أميال من البحر (الجميري، 1984م: 521-522).

(90). قيسرية: مجمع يشتمل على سوق وفنادق ومخازن وأماكن اجتماع التجار والموظفين المكلفين بجمع الضرائب (الوزان، 1983م: 242/1).

(91). باني ميناء تونس هو حسان بن النعمان الغساني (ت. 86هـ/705م) عام 84هـ/703م، وذلك بعد أن أنشأ مدينة تونس، وجعل رادس مرسى لها (أحمد، 2009م: 20).

(92). وهذا ما سبقه إليه التجاني (ت. 721هـ/1321م) في رحلته (التجاني، 1981م: 68).

(93). للاطلاع على أهمية أغمات ودورها في الحركة التجارية، يُنظر: (عبد الحميد، د. ت: 509-511).

والأسعار والمطاعم والمشارب والبقر والغنم لكثرتها (الجميري، 1984م: 132)، وهذا ينطبق على تنس؛ بسبب خصوبة أراضيها وكثرة أعمالها ومزارعها وتردّد التّجار عليها ذهاباً وإياباً (الجميري، 1984م: 138). وبحصن تيكلات فاكهةً ولحومٌ كثيرةٌ رخيصة (الجميري، 1984م: 147).

وأما الجزائر، ذات المرسى المأمون، فيقصدتها أصحابُ السّفن من إفريقية والأندلس وغيرهما (الجميري، 1984م: 163). وتميّزت سطيف برُخص الأسعار؛ لكثرة الفاكهة والتّمار (الجميري، 1984م: 318)، وكذلك مدينة الغدير التي بيع فيها قطار العنب بدرهم (الجميري، 1984م: 427). وبطنبة صنائع، ولأهلها تصرّف في ضروب من التّجارات والتّمّر وسائر الفاكهة (الجميري، 1984م: 387). وعُدّت قلعة بني حماد "من أكبر البلاد قطراً وأكثرها خلقاً وأغزرها خيراً، وأوسعها أموالاً، وأحسنها قصوراً ومسالك، وأعماها فاكهة وخصباً"، وتميّزت برُخص حنطتها، وكانت مقصداً للتّجار، وبها تحلّ الرّحال من العراق والحجاز والسّام ومصر وسائر بلاد المغرب (الجميري، 1984م: 469-470).

وفي المغرب الأوسط أيضاً، عُرفت قسنطينة بخصب أراضيها ورخص أسعارها، وهي على نظري واسع وقرى عامرة، وبها أسواقٌ وتجارٌ، وأهلها مياسير ذوو أحوال وأموال ومعاملات، وأصحاب حنطة تقيم في مطاميرها⁽⁹⁴⁾ مائة سنة لا تفسد. وفي كلّ دار مطمورتان وثلاث وأربع نفراً في الحجر، تبقى الحنطة فيها لبردها واعتدال هوائها، وهي مطلة على فحوص ومزارع، والحنطة والشّعير ممتدة في جميع جهاتها (الجميري، 1984م: 480-481). ومن ناحية أخرى، لا يوجد مدينة في أفريقية يُباع فيها التّمّر لكثرتة بثمنٍ أبخس من قسنطينية (الوزان، 1983م: 56/2).

وكثرت الفاكهة والألبان والسّمّن والعسل في أسواق مازونة (الجميري، 1984م: 522). وعُرفت المسيلة بكثرة بساتين الفاكهة والقطن والخيل والأغنام والأبقار والبقول، وتميّزت برُخص أسعارها (الجميري، 1984م: 558). وأما ميلة فكان حولها ربح، وهي عامرة أهلة كثيرة الخصب (الجميري، 1984م: 569). واشتهرت وهران بكثرة صنائعها وعسلها وسمنها، كما كانت أسعار البقر والغنم فيها رخيصة، فازدهرت التّجارة فيها، وقصدتها المراكب، فكانت لا تتوقّف عن الوصول إليها والإقلاع منها (الجميري، 1984م: 612-613).

وفي المغرب الأقصى اشتهرت مدينة أبة بأسعارها الرّخيصة (الجميري، 1984م: 6). ونظراً للازدهار الاقتصادي الذي كانت عليه أصيلا، فقد كانت على الدوام مطمعا للمجوس⁽⁹⁵⁾ (الجميري، 1984م: 42). وكان أهل أغمات تجاراً أغنياء، ولم يكن في دولة المرابطين (447-641هـ/1056-1147م)⁽⁹⁶⁾ أكثر أموالاً منهم، وبأغمات يسكن الأعيان، وبها ينزل التّجار؛ لأنّها كانت دار التّجيز للصّحراء، ولأبواب منازلهم علامات تدلّ على مقادير أموالهم (الجميري، 1984م: 46). وكان أهل أودغشت أخلاط من أمصار مختلفة، استوطنوا لكثرة خيراتها ورواج تجارتها وازدهار أسواقها، التي لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه؛ لكثرة غوغاء الناس. وتميّز أهلها بالثّراء، وتعاملوا في تجارتهم بالذهب وليس بالفضة، وبنوا المباني الفخمة، فرخصت سلعهم وبخاصة لحوم البقر والغنم، فيشتري فيها عشرة أكبش بدينار (الجميري، 1984م: 63-64).

ونظراً لرُخص الأسعار في إيكي، فربما بيع فيها جمل التّمّر بما دون كراء الذابة من البستان إلى السّوق (الجميري، 1984م: 71). وكانت مدينة تارنانا محطاً للسّفن ومقصداً لقوافل سجلماسة وغيرها (الجميري، 1984م: 127)، وتردّت القوافل على داي ذهاباً وإياباً (الجميري، 1984م: 231). ولسلا أسواق نافقةً وتجاراً ودخلٌ وخرجٌ، ولأهلها سعة أموال، والطعام بها كثيرٌ ورخيص الثّمّن (الجميري، 1984م: 319). وأما السّوس فكانت بلاد الحنطة والشّعير والأرز، والغالب على أسعارها الرّخص (الجميري، 1984م: 330). وكثرت الفاكهة والحنطة رخيصة الثّمّن في فاس؛ بسبب خصب أراضيها (الجميري، 1984م: 434).

وعرفت مدينة نفيس بالبلد النّفيس؛ نظراً لما بها من الفاكهة واللحوم ما لا يكون في كثير من البلاد، وبها جامع وسوق نافقة (الجميري، 1984م: 578). وفي نول لمطة بيع الواحد السّروج وأقتاب الإبل والأكسية السّفسارية والبرانس بخمسين ديناراً، وتكثر لدى أهلها الألبان والسّمّن، وإليها يلجأ أهل تلك الجهات في مهج حوائجهم (الجميري، 1984م: 584). ويصنع أهل وجدة من صوف الأغنام أكسية ليس لها نظير في الجودة، ويساوي الكساء الجيد خمسين ديناراً وأزيد، وعلى وجدة طريق المارّ والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وإلى سجلماسة وغيرها. وأخيراً اشتهرت ورزيجة بكثرة الخيرات، حيث بيعت فيها ألف حبة كمثري برّبع درهم (الجميري، 1984م: 607-608).

المطلب الثالث: صادرات بلاد المغرب و وارداتها:

نشطت حركة الصادرات والواردات في بلاد المغرب، وظهرت في الرّوض المعطار على النّحو الآتي:

أ- المغرب الأدنى: كانت أوجلة تصدّر الثّمور والغلال إلى أرض السودان (الجميري، 1984م: 64). وتصدّرت برقة قائمة البلدان النّشطة في مجال التّصدير البرّي والبحري، وبخاصة إلى مصر، حيث صدّرت إليها الماشية والقطن والصّوف والعسل، ولطالما خرجت من برقة إلى مختلف البلدان جلود البقر والثّمور الواصلة إليها من أوجلة، وذلك بعد دباغتها (الجميري، 1984م: 91). وصدّرت زويلة المهدية زيت الرّيتون إلى سائر البلاد الإفريقية، وكان يتجهز به إلى المشرق (الجميري، 1984م: 296)، واشتهرت صفاقس بذلك أيضاً، حيث كان زينها يصدّر إلى مصر والمغرب وصقلية وبلاد الرّوم، وربّما يبيع الرّيت أربعين ربعاً بمثقال واحد (الجميري، 1984م: 366).

(94) مطامير: حفرة عميقة تُحفظ بها الحبوب لفترات طويلة، وتبلغ سعة بعضها أكثر من منتي من الحبوب (الوزان، 1983م: 248/1). وبالإضافة إلى قسنطينة، فإن مكث المخزونات يطول أيضاً في مستعانم حتى أنّه ربّما مكث القمح والشّعير في مطاميرها ست سنين، ثمّ يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت (القلقشندي، 1910م: 110/5، 150).

(95) يُقصد بالمجوس: الثّورمان، الذين هاجموا سواحل المغرب غير مرّة وأعملوا فيها تخريباً وسلباً ونهباً (أحمد، 2009م: 99).

(96) عن دولة المرابطين؛ يُنظر: (القلقشندي، 1910م: 188/5-190).

وكان المسافرون يقصدون سوسة ويصدرون عنها باستمرار، وبها المتاع الذي لا يوجد في غيرها، وأسواقها عامرة، واشتهرت بتجارة الثياب والمنسوجات، وبيع الغزل بها زنة المتقال⁽⁹⁷⁾ بمقتالين (الجميري، 1984م: 64؛ 331). وعُملت في المهديّة ثياباً نسيّة كان ينمّ الثَّجْهُرُ بها إلى الأفاق (الجميري، 1984م: 562). وحُمِلَ المرجانُ من طبرقة إلى جميع البلاد، وبخاصّة إلى الهند والصين (الجميري، 1984م: 386). ونظراً لغنى مدينة الخرز بالمرجان؛ فقد قصدها الثَّجَّارُ لاستخراجه وبيعه بأموال طائلة، وقُدِّرت جباية هذه المدينة بعشرة آلاف دينار (الجميري، 1984م: 538). وصدّرت قابس زيت الزَّيْتُون إلى مختلف النُّواحي (الجميري، 1984م: 451). وبمرسى الدَّجَاج كثيرٌ من الفاكهة واللحوم رخيصة الثَّمَن، وتبيها الطازج يُحمَل إلى سائر الأقطار وأقاصي البلاد (الجميري، 1984م: 539). ولطالما حُمِل الثَّيْنُ الأخضرُ من قلشانة إلى القيروان (الجميري، 1984م: 466).

وكانت توزر تستورد من خارجها الحنطة والشعير؛ لأنهما قليلان فيها، ولهذا فإن أسعارهما كانت مرتفعة في أكثر الأوقات (الجميري، 1984م: 144). ونظراً لافتقار بعض النُّواحي إلى الفاكهة، فقد لجأت إلى استيرادها من مناطق أخرى، فاستوردتها جلولاء من القيروان (الجميري، 1984م: 168)، وتزوّدت بها صفاقس من قابس (الجميري، 1984م: 365)، وجلبتها مدينة الخرز من بونة وغيرها (الجميري، 1984م: 538). ووردت إشاراتٌ لدى الجميري حول قيام البعض باحتكار الأسعار، وفي هذا السياق عدُّ أهل سرت أرذل الناس خلقاً ومعاملة، ولا يتعاون إلا بسعرٍ قد انفقوا عليه، "وربّما نزل المركب بساحمهم موسوقاً بزيتٍ، وهم أحوجُّ الناس إليه، فيعمدون إلى الرِّقَاق الفارغة فينفخونها ويضعونها في حوانيتهم؛ ليرى أهل المركب أنّ الزيتَ عندهم كثيرٌ بائر، فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا ما باعوا منهم إلا على حكمهم" (الجميري، 1984م: 312).

ب- المغرب الأوسط: نشطت مدن المغرب الأوسط في هذا المجال، حيث صدّرت بونة إلى مصر الجلود والفراء، وبخاصّة المصنوعة من الجمال، وكانت تباع بأثمان غالية (الجميري، 1984م: 115). وحُمِلت الحنطة والحبوب والفاكهة والسفرجل من تنس إلى كلّ الأفاق في المراكب، ومنها كان يُحمَل الطَّعام إلى الأندلس وإلى أكثر بلاد أفريقيا والمغرب (الجميري، 1984م: 138). وبسبب غنى الجزائر بالمواشي البقر والغنم والنحل، فقد كانت تخرج منها كمياتٌ كبيرة من السَّمَن والعسل إلى الأقطار المجاورة والبعيدة (الجميري، 1984م: 163). ومن سطيف كان يُحمَل الجوز إلى مختلف الأقطار (الجميري، 1984م: 318). وصدّرت قسنطينة والعسل والسَّمَن إلى سائر البلاد (الجميري، 1984م: 480)، وصدّرت أركان العقيق إلى بلاد السودان وغيرها (الجميري، 1984م: 600). ومن ناحية أخرى، كانت احتياجاُ بجاية من الثَّقَاح والفاكهة والعب تاتيها من جيجل (الجميري، 1984م: 184)، واستوردت قلعة بني حماد حاجتها من السَّمَك من مدينة المسيلة (الجميري، 1984م: 558).

ت- المغرب الأقصى: ومن صادراته بيض طيور النعام، وذلك من أنكال إلى عديد من البلاد (الجميري، 1984م: 35). وكان أهل أغمات يدخلون بلاد السودان بقناطير الأموال من النحاس الملوّن والأكسية وثياب الصوف والعمائم والرُّجَاج والأصداف والأحجار وضروب الثوابل والعطّر وآلات الحديد المصنوع. ومن نفيس حملت السُّفُنُ تفاعاً جليلاً كان يُباع منه وقر البعير⁽⁹⁸⁾ بنصف درهم (الجميري، 1984م: 46). وبأوليل ملاحات، ومنها كان يُحمَل الملح إلى جميع بلاد السودان المجاورة، وراجت في أودغشت تجارة الرِّقَاق، وبخاصّة الإناث، حيث كان يُجلب منها جوارٍ بيض رشيقات القدود. وصدّرت أودغشت الدرق الجيدة، بسبب توفر اللط بأرضها، وجلب أيضاً منها العنبر لقرّبها من البحر المحيط، فضلاً عن الذهب الإبريز الخالص خيوطاً مفتلة (الجميري، 1984م: 64)، والإبريز هو أفضل أنواع الذهب (البيروني، 1995م: 154).

وصدّرت إيكلي النحاس المسبوك إلى بلاد السودان (الجميري، 1984م: 71). وكان يُزرع في داي القطن الكثير ويسافر به إلى كلّ الجهات، ولا يحتاجون مع قطنها إلى غيره من القطن المجلوب (الجميري، 1984م: 231). ومن مدينة درعة كان يخرج الحنّاء إلى جميع البلاد، وله مزية في البيع على سواها، فضلاً عن النّيلج والكمون والكرابوا (الجميري، 1984م: 235-236). وكان يُتجهز من سبنة بثمار الأترج إلى ما جاورها (الجميري، 1984م: 303). ومن سلا وإليها كانت مراكب أهل إشبيلية والمدن الساحلية الأندلسية يقلعون ويحطون بها بضروب البضائع، وكان يقصدها أهل اشبيلية بالزيت (الجميري، 1984م: 319).

وسميت السوس ببلاد السُّكَّر، ومنها كان ينمّ تصديره إلى الأفاق، ويصل فاضله إلى أقصى خراسان، وبالسوس أيضاً كان يُعمل النحاس المسبوك ويُحمَل إلى بلاد السودان (الجميري، 1984م: 329-330)، أسوة بمدينة فاس التي كانت تصدّر النحاس الأصفر (الجميري، 1984م: 435)، وفي الوقت ذاته حُمِل منها سمك الشابل إلى مكناسة (الجميري، 1984م: 606)، وفي المقابل، كانت القوافل تقصد مدينة فاس، وتجلب إليها غرائب الثياب والبضائع والأمتعة (الجميري، 1984م: 434). وصدّرت مراكش زيت الزَّيْتُون (الجميري، 1984م: 451)، ومن نول لمطة كان يُحمَل الملح إلى بلاد السودان كغانة وغيرها (الجميري، 1984م: 584). وكانت أودغشت تستورد من بلاد السودان الفاكهة الطازجة والمجففة، وتجلب الثمر من سجلماسة أو بلاد الزَّاب بواسطة تجّار واركلان (الجميري، 1984م: 64). ويتضح ممّا ذكر مدى الازدهار التجاري والاقتصادي الذي تمتعت به بلاد المغرب، ما كان له أثرٌ إيجابيٌّ على مستوى معيشة سكانها.

النتائج

لقد خلّصت دراسة الأوضاع الاقتصادية للمغرب الإسلامي وثوراته الطبيعية من خلال كتاب الرّوض المعطار للجميري إلى النتائج الآتية:

(97) مقال: وحدة وزن، ويعادل في المغرب والأندلس 4.7 غم، وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثل 3.3 غم (هنتس، 1980م: 18).

(98) وقر البعير: يساوي 237 كغم (الوزان، 1983م: 24/1).

1. أظهر الرّوض المعطار غنى بلاد المغرب بمختلف أنواع المصادر المائية، كالأنهار والينابيع والجداول والآبار. واستخدم أهلها النّواعير لرفع الماء ونقله إلى مزارعهم. فانعكس ذلك إيجاباً على ثروتها الزراعيّة والشجرية نوعاً وكمّاً. وبسبب الطّابع الصحراويّ لبعض المناطق، فقد اعتمد السكّان في الرّزاعة على مياه الأمطار، التي جُمعت في مواجل وآبار وصهاريج نفرت بالصّخر، ولهذا كانت أراضيهم قليلة الرّزح.
2. انتشرت زراعة القمح والشّعير في معظم أنحاء بلاد المغرب، فضلاً عن الحمص والفل والذرة والأرز والذخن والكمون والقطن والكتّان والرّعفران. واستخدم الأهالي المطامير الصّخرية لتخزينها. واقتصرت زراعة قصب السكّر على بلاد المغرب الأقصى؛ بسبب حاجة هذا النّوع من النّباتات لوفرة المياه والأجواء الحارّة، بينما اختصّت بلاد المغرب الأدنى بالرّعفران دون غيرها.
3. اشتهر المغرب الأدنى أكثر من غيره بكثرة أشجار الرّيتون، كما شاعت زراعة النّخيل وإنتاج التّمر على نطاق واسع في بلاد الجريد حيث تتوفر الواحات، ومن أهم أنواع التمور: الكسبا (الصّيحاني) والياوي والبرني. وأمّا النّفّاح فيمن أنواعه السّوسي والمهّند والأطرابلسي، وزرعت من العنب أصناف عديدة كالعسلي، وجفّف المزارعون ثماره بالظلّ فسمّيت بالرّبيب الطّلي. وانتشرت في بلاد المغرب أنواع أخرى من الأشجار المثمرة؛ كالأترج والسّفرجل والكمثرى والتّين والرّمّان والعنّاب والتوت والموز، فضلاً عن اللوزيات؛ كاللوز والجوز والفسّق والمشمش.
4. أشار الرّوض المعطار إلى غنى بلاد المغرب بالثروة الحيوانية؛ كالأغنام والأبقار والخيول والإبل، كما شاعت لدى سكّانه تربية النّحل؛ لإنتاج العسل. وازدهرت الثروة السمكية البحريّة والنّهريّة وفي المستنقعات والبحيرات، حيث كثرت عشرات الأنواع من الأسماك؛ كالقبونس والسيباريس والبوري والشابل. كما اشتهرت عدد من المواقع الساحلية بكثرة المرجان والعبير.
5. اشتهرت بلاد المغرب الأقصى دون غيرها بالذهب، فضلاً عن معادن النّحاس والفضة والحديد التي وجدت في مختلف أنحاء بلاد المغرب، كما وُجد فيها العقيق والشبّ والملح.
6. انتشرت في بلاد المغرب الصناعات النّسجية القطنية والكتّانية والصّوفية والحريّة، ومنها الكساء الدرّجيني والسّلماسي والسّوسي والوادي، وصنعت الأردية والطّبالسة والعمائم والأكسية السّفسارية والبرانس. كما ازدهرت فيها الصناعات الجلديّة بسبب غناها بالثروة الحيوانية كالأبقار والثّور والفنك والأروى واللمط، فكثرت فيها دور الدّباغة، ومن أشهر أنواع الجلود المصنّعة: الجلّد الغداسي، وجلود الكباش الدمانية، وجلود اللّمس اللازم لصناعة الدّرق، كما عرفت بلاد المغرب صناعة السّروج وأقتاب الإبل.
7. عمل أهالي بلاد المغرب في صناعة سبك النّحاس، وصنعوا الأواني الخزفيّة. وانتشرت دور صناعة السّفن على سواحل مدنها؛ بسبب توفر الخشب الرّيت والقطران والحديد اللازم لذلك. ومن ناحية أخرى؛ راجت لديهم بعض الصناعات الغذائية، كتصنيع المنتجات النباتية والحيوانية، ونشطوا في إنتاج السكّر، وفي طحن الحبوب بواسطة الأرحاء المائية.
8. تعدّدت الأسواق وما اشتملت عليه من فنادق وحمامات وخانات في مختلف مدن بلاد المغرب، حيث كانت تتنم أعمال العرض والبيع والثّراء، ولعبت المرافق المذكورة إلى جانب الموانئ دوراً رئيساً في ازدهار الحركة التجاريّة الداخليّة والخارجيّة.

المصادر والمراجع

- [1] الأرحية المائية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والنّوازل، بوزاد، فاطمة، مجلّة جيل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، ع55، 2019م، ص(105-121).
- [2] الأعلام، الزركلي، خير الدين، 8 أجزاء، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- [3] الثّر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، أحمد (ت. 852هـ/1448م)، 4 أجزاء، دار الجليل، بيروت، 1993م.
- [4] إفريقيا، كربخال، مارمول، 3 أجزاء، ترجمة: محمّد حجّي وآخرون، مكتبة المعارف، الرّباط، 1984م.
- [5] بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ابن خلدون، يحيى (ت. 780هـ/1378م)، الجزء الثّاني، تحقيق: الفرد بل، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1910م.
- [6] تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشوفسكي، أغناطيوس، ق1، ترجمة: صلاح الدّين هاشم، الإدارة الثّقافيّة في جامعة الدّول العربيّة، القاهرة، 1957م.
- [7] تاريخ المغرب العربي، عبد الحميد، سعد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ت).
- [8] تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، السيّد، عبد العزيز، ط2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ت).
- [9] تقنيّات غراسه الرّيتون، وزارة الفلاحة والموارد المائية والصّيد البحري، معهد الرّيتونة ومؤسسة البحث والتّعليم العالي الفلاحي، تونس، 2017م.

- [10] الجماهر في الجواهر، البيروني، محمّد بن أحمد (ت. 440هـ/1049م)، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، شركة النّشر العلمي والثقّافي، (د. م.)، 1995م.
- [11] الجرف والصناعات المحليّة في المغرب والأندلس من خلال كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، المتوفّي سنة 821هـ/1418م، القيسي، خليل؛ السويدي، سعيد، مجلّة دراسات في التّاريخ والآثار، كليّة الآداب، جامعة بغداد، 2017م، ع61، ص(648-703).
- [12] الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحّدين، حسن، حسن، ط1، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1980م.
- [13] دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد، نهلة، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2009م.
- [14] دراسة استكشافيّة لتطوّر الخزف مروراً بالعصور الإسلاميّة المختلفة، الجندي، محمّد، مجلّة النّصميم الدّوليّة، الجمعيّة العمليّة للمصمّمين، مجلّد 7 (3)، مصر، 2017م، ص(187-193).
- [15] رحلة التّجاني، التّجاني، عبد الله (ت. 721هـ/1321م)، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م.
- [16] الرّوض المعطار في خير الأقطار، الجميري، محمّد (ت. 900هـ/1495م)، تحقيق: إحسان عبّاس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- [17] صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، أحمد (ت. 821هـ/1418م)، ج5، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1910م.
- [18] القاموس المحيط، الفيروز أبادي، محمّد (ت. 817هـ/1414م)، 4 أجزاء، ط3، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1301هـ.
- [19] معالم تاريخ المغرب الأندلس، مؤنس، حسين، ط5، دار الرّشاد، القاهرة، 2000م.
- [20] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، عبد الواحد (ت. 647هـ/1249م)، ضبطه وصحّحه: محمّد العريان ومحمّد العلمي، ط1، المكتبة التّجاريّة الكبرى، القاهرة، 1949م.
- [21] معجم البلدان، الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 626هـ/1228م)، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1977م.
- [22] معجم الحيوان، المعلوف، أمين، (د. ط.)، دار الرّائد العربي، بيروت، (د. ت.).
- [23] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، ط4، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، 2004م.
- [24] معجم نحلّ في الأسماء العلميّة للنباتات، نحلّ، إبراهيم، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2009م.
- [25] المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب، البكري، عبد الله (ت. 487هـ/1094م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت.).
- [26] مقبّمة ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرّحمن (ت. 808هـ/1406م)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2001م.
- [27] المكايل والأوزان الإسلاميّة وما يعادلها في النّظام المتري، هنتس، فالتر، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنيّة، عمّان، 1980م.
- [28] موسوعة النّباتات الطّيبيّة، حايك، ميشال، 7 أجزاء، ط3، مكتبة لبنان، بيروت، 2001م.
- [29] نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الإدريسي، محمّد (ت. 560هـ/1164م)، جزءان، مكتبة النّقافة الدّينيّة، القاهرة، 2002م.
- [30] وصف إفريقيّا، الوزان، الحسن (ت. 1009هـ/1600م)، جزءان، ترجمة: محمّد حجي، محمّد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

معلومات الباحث

ORCID ID

<https://orcid.org/0000-0002-4830-3057>: عامر أحمد الفّحّج

RESEARCH ARTICLE

THE ECONOMIC CONDITIONS OF THE ISLAMIC MAGHREB AND ITS NATURAL RESOURCES IN AL-RAWD AL-MI'TAR BY AL-HIMYARI (D. 900 AH/1495 AD) – A HISTORICAL STUDY**Amer Ahmed Al-Qobbaj*** *Dept. of History, Faculty of Humanities and Educational Sciences, An-Najah National University, Nablus, Palestine.****Corresponding author: Amer Ahmed Al-Qobbaj; E-mail: Amer.qobbaj@najah.edu; Tel: +972599732849****Received: 30 August 2024 / Accepted: 11 September 2024 / Published online: 30 September 2024****Abstract**

This study deals with the natural resources and economic conditions in the Islamic Maghreb countries through the book Al-Rawd Al-Mi'tar by Al-Himyari (d. 900 AH/1495 AD), which shows the availability of water sources necessary for agriculture, the fertility of its coastal and inland lands, and the diversity of its crops, the most important of which are wheat, barley, legumes, olives, palm trees, apples, grapes, quince, and almonds. The Maghreb countries were famous for their rich livestock, bees for the purpose of producing honey, fish and coral, in addition to natural minerals, such as gold, copper, iron, and salt. Cotton, linen, wool, and silk textile industries spread in most cities of the Maghreb countries. Due to their rich livestock, leather industries flourished. In the ports located on its coasts, many shipbuilding houses were established, due to the availability of wood, tar and iron needed to manufacture them. The food industries depended on agricultural and animal products, and Al-Rawd Al-Mi'tar also addressed some therapeutic industries, using wild medicinal herbs. Finally, internal and external trade in the Maghreb countries played a major role in the prosperity of its economic conditions, and all of this was positively reflected in people's living conditions.

Keywords: Islamic Maghreb, Al-Himyari, Al-Rawd Al-Mi'tar, Natural resources, Economic conditions.**كيفية الاقتباس من هذا البحث:**

القَبَّج، ع. أ. (2024). الأوضاع الاقتصادية للمغرب الإسلامي وثوراته الطبيعية في الرّوض المعطار للجميري (ت. 900هـ/1495م) – دراسة تاريخية. مجلة جامعة عدن الإلكترونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، 5(3)، ص300-317. <https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2024.3.387>

حقوق النشر © 2024 من قبل المؤلفين. المرخص لها EJUA، عدن، اليمن. هذه المقالة عبارة عن مقال مفتوح الوصول يتم توزيعه بموجب شروط وأحكام ترخيص Creative Commons Attribution (CC BY-NC 4.0).

